

كتاب

﴿ الحصون الحميديه ﴾

﴿ لمحافظة العقائد الاسلامية ﴾

تأليف حضرة الأستاذ العلامة العامل والجهبذ الكامل
صاحب الفضيلة السيد الشيخ حسين أفندي الجسر
مؤلف الرسالة الحميدية غفر الله تعالى
ذنوبه وستر عيوبه بمنه
وكرمه آمين

﴿ طبع على نفقة محمد أمين الخانجي وشركاه ﴾

(طبع بمطبعة السعاده بجوار محافظة مصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا *(محمد)* أشرف المرسلين * وعلى آله وصحبه أجمعين * (أما بعد) فيقول الفقير الحقير الراجي من الله غفران الوزر * عبده حسين بن محمد الجسر * الطرابلسي عفا الله عنه * انه من المعلوم المسلم عند كل مطلع على تاريخ الأمة المحمدية أن إيمان أهل الاسلام * بجميع ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام * كان في عصره عصر السعادة مستندا للقرآن الشريف * وحديث الرسول المنيف * مؤيدا بأدلة العقل السليم * الناهج في المنهج القويم * خالصا من شوائب الشبه والاهواء * سليما من غوائل الأغاليط واختلاف الآراء * فلذلك كانت ثمراته يانعة * وزواهره ساطعة * فكنت ترى افراد الأمة محافظين على إقامة العبادات وانتظام شأن المعاملات * ممتثلين للأوامر * منتهين عن المناكر * متحلين بأخلاق الدين الحسنة * وآدابه المستحسنة * لأنه متى طاب الأصل طابت الفروع * وعذوبة الماء تنشأ عن صفاء الينبوع * وقد دام ذلك في المسلمين * وجماعة الموحدين * الى أن أمر أحد

الخلفاء العباسيين بترجمة كتب الفلاسفة المتقدمين الى اللغة العربية * وانتشرت تلك التراجم بين الأمة الاسلامية * ونشأ من الاطلاع عليها شبه زعزعت ايمان ضعفاء المسلمين * ومن ليس عندهم تمكن فى معرفة أصول دين سيد المرسلين * فانبرى عند ذلك علماء الأمة المحمدية وأئمتها الأعلام * المتمسكون بما كان عليه المصطفى وأصحابه عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام * يردون القلوب الشوارد * ويدفعون تلك الشبه بما يرغم أنف كل معاند * حتى رأيت كتبهم مزدانة بالدلائل القطعية * على إثبات العقائد الدينية * وصادعة بردود الشبه التى كانت على الضعفاء أعظم بلية * فحفظ الله تعالى بصنيعهم ايمان الامة من الغوائل * وحصنه من صدمات الشبه بأقوى الدلائل * وقد استمر الحال * على هذا المنوال * الى أن ظهرت فى هذه العصور الأخيرة * الفلسفة الحديثة * التى خالف فيها أربابها طريقة أسلافهم الفلاسفة المتقدمين * واعتمدوا فى ذلك أصولا فى الرياضيات والطبيعيات لم تكن تعرف قبل هذا الحين * وانتشرت هذه الفلسفة بواسطة المطبوعات بين أهل الاسلام * ونشأت عنها شبه لم تكن معهودة فى غابر الأعوام * وصار كل عاقل يخشى على إيمان الضعفاء من غوائل هذه الشبه الجديدة * فتجدد الاحتياج الى استئناف الردود السديدة * وتأليف كتب فى حفظ الايمان مفيدة * ولما من الله تعالى على أهل هذا العصر * بخليفة رفعت لجلالته ألوية

الشرف والفخر * ونشرت لحضرته رايات العز والنصر * وسار في اصلاح الرعية سيرا عجيبا * وسلك في نجاح البرايا سلوكا غريبا * وقام على أقدام الاقدام * ونشر منشور فضله على عموم الأنام * وصرف أوقاته لنفع الخاص والعام * وبسط بساط المراحم لكافة تبعته * وأفاض فيوض المكارم على جميع صنوف رعيته * ألا وهو ثاني القمرين * ومحيي سنة سيد الكونين * ناصر الشريعة الغراء * ورافع لواء المحجة البيضاء * سلطان سلاطين العرب والعجم * ومعيد ما اندرس من آثار سالف الأمم * الخليفة الأعظم * والخاقان الأفخم * السلطان ابن السلطان السلطان الغازي (عبد الحميد) خان ابن السلطان الغازي عبد المجيد خان نصره الله تعالى وأدامه * ورفع على ذروة الخافقين بالفتح المبين أعلامه * وجه عنايته حفظه الله تعالى الى أحوال العلوم والمعارف * وألفت الطرف الى شؤون الفضائل والعوارف * فرآها بلسان الحال تشكو لجلالته * وتطلب إحياءها بلمحة من أنظار دولته * فرثى لحالها * وأصغى لمقالها * وسمع دعواها * ولبى شكواها * فشيد لها المكاتب والمدارس * وأحضر لها من الكتب والرسائل أنفس النفائس * وساق اليها المعلمين من أقطار الارض * وأمر باحياء دارسها واطاعة أمره فرض وأى فرض * فقرئ فيها من العلوم والفنون * ما يسر القلب المحزون * ولم تزل المعارف تنشر في البلاد *

وتتضاعف ثمراتها وتزداد * حتى استنقذت شبان الرعية من ظلمات الجهل *
ونورت أفكارهم بأنوار العرفان والفضل * وقد علت بذلك هممهم *
وازدادت بحسن معارفهم قيمتهم * الا آن ما أحدثته الفلسفة الحديثة التي
نقلت الينا على متون المطبوعات من غوائل الشبهات * قد يخشى منه
زيغ عقائد شبان ضعفاء الأمة ووقوعهم في الضلالات * فكان المطابق
لرضائه العالي * والموافق لرأي جلالته السامي * تأليف كتاب مختصر
يشتمل على تقرير العقائد الاسلامية ببراهينها العقلية * ويتكفل بدفع
تلك الشبه التي حدثت من الفلسفة الجديدة * وسواها من الاغاليط
المضرة بالعقيدة * مع بيان ما يقضي بجلب قلوب شبان المسلمين * لمحبة
الدين المبين * والتعشق لحضرة سيدنا ﴿ محمد ﴾ سيد المرسلين *
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين * عسى أن تعم
قراءته في جميع المكاتب السلطانية والمدارس الشاهانية * محافظة
على عقائد تلامذتها من أهل الملة الاسلامية والشريعة المحمدية * فوفقت
لهذه الخدمة الشريفة التي ينتج عنها ان شاء الله تعالى بانظار خليفة رسول الله
الخير العظيم لعموم الأمة الاسلامية وتكون حسنة من حسنات شوكته
حفظه الله وغرة من غرر عصره الحميدي السعيد المؤيد بتوفيق الله تعالى
فجاء كتابا يسر قلوب المؤمنين * ويقر أعين الموحدين * مشتملا على
مقدمة وثلاثة أبواب كل باب منها يشتمل على فصول * تحتوي على ما تمس

الحاجة اليه من مهمات الاصول * وعلى خاتمة تشتمل على بيان وجوب الخلافة فى الدين المحمدى المبين * وما لها من حقوق الاطاعة على عموم المسلمين * وهو حقيق بأن يسمى (الحصون الحميدية * لمحافظة العقائد الاسلامية) فنتوسل الى الله تعالى بروحانية حبيبه الاعظم * صلى الله تعالى عليه وسلم * أن يؤيد عرش الخلافة العظمى بطول عمر وحياة مولانا الخليفة الاعظم ويحفظ ذاته الكريمة ويؤيده بالنصر المكين * والفتح المبين * اللهم آمين

المقدمه

﴿ وهى تشتمل على أربعة أبحاث ﴾

﴿ البحث الاول ﴾

(فى تعريف علم التوحيد وثمرته وفضله وافتراض تعلمه على كل مكلف)

علم أن علم التوحيد هو علم يبحث فيه عن اثبات العقائد الدينية بالادلة اليقينية وثمرته هى معرفة صفات الله تعالى ورسله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الابدية وهو أصل العلوم الدينية وأفضلها لكونه متعلقا بذات الله تعالى وذات رسله عليهم الصلاة والسلام وشرف العلوم بشرف المعلوم وقد جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام من لدن سيدنا آدم الى سيدنا محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم ولكن لما كان الشيخ أبو منصور الماتريدى والشيخ أبو الحسن الاشعرى أشهر من دون كتب هذا العلم وأقام الأدلة والبراهين على رد ما قاله المخالفون شاع انهما الواضعان له ويفترض تعلمه على كل مكلف من ذكر وأنثى ولو بأدلة اجمالية وأما معرفة أدلته التفصيلية فهى فرض كفاية اذا قام بعض الأمة سقط الطلب عن

الباقين والصحيح أن من قلد غيره فى العقائد الدينية بأن يعتقدها اعتقاداً جازماً لا يقبل الشك والتردد يكون إيمانه صحيحاً ولكنه يكون آثماً بترك النظر فى الأدلة ان كان قادراً على ذلك والا فلا وإنما سمى هذا العلم علم التوحيد لان أشهر مباحثه البحث عن توحيد الله تعالى وهو أساس الدين

﴿ البحث الثانى ﴾

(فى بيان حقيقة الايمان وحقيقة الاسلام)

إعلم أن الايمان الذى كلف الله تعالى به عباده وجعل جزاءه دخول الجنة والنجاة من النار هو تصديق سيدنا ﴿محمد﴾ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما علم مجيئه به بالضرورة أى اعتقاد صدقه عليه الصلاة والسلام اعتقاداً جازماً فيما جاء به عن الله تعالى وعلم مجيئه به يقيناً مع الاذعان القلبى لذلك وذلك مثل الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر وافتراض الصلاة وبقية العبادات الاسلامية من الزكاة والصيام والحج على المستطيع وتحريم قتل النفس المعصومة ظلماً والزنا وأمثال ذلك والاسلام هو الخضوع والانقياد باطناً وظاهراً لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام وعلم مجيئه به بالضرورة أى علم مجيئه به يقيناً فكل من الايمان والاسلام المنجيين لا ينفك عن الآخر فكل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن لان المصدق ذلك التصديق للرسول عليه الصلاة

والسلام لا بد أن يكون خاضعا لما جاء به عليه الصلاة والسلام والخاضع هذا الخضوع لا بد أن يكون مصدقا فذلك التصديق ثم ان النطق بالشهادتين وهما أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله قد جعل شرطا لازما لاجراء الاحكام الدنيوية على المؤمن من نحو مناكحته والصلاة خلفه والصلاة عليه ودفنه فى مقابر المسلمين فاذا لم ينطق بهما العذر كالخرس أولم يتمكن من النطق بهما بأن مات عقب ما آمن بقلبه أو اتفق له عدم النطق بهما بعد الايمان بقلبه أيضا فهو مؤمن عند الله تعالى وناج فى الآخرة لكن من امتنع عن النطق بهما عنادا بعدان عرض عليه ذلك فهو كافر والعياذ بالله تعالى ولا عبرة بتصديقه القلبي الذى يحصل منه لان هذا الامتناع قد جعله الشرع منافيا للايمان وحكم بكفر صاحبه

البحث الثالث

فى بيان ما اعتبره الشرع منافيا للايمان ومبطلا له (والعياذ بالله تعالى)

إعلم ان الشرع الشريف نهى وحذر عن الأمور المنافية للايمان وحكم بكفر من يرتكبها وان كان مصدقا بقلبه ومنقادا لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام وذلك مثل السجود للصنم اختيارا أو الاستهانة بما عظمه الدين كالقرآن الشريف وحديث الرسول المنيف والشريعة المطهرة

ورسل الله الكرام وأسمائه العظيمة وصفاته الكريمة وأوامره ونواهيه والفرائض الدينية كالصلاة والحج أو الشتم لواحد مما ذكر أو التلفظ بكلمة الكفر أو نحو ذلك فان هذا وأمثاله ينافى الايمان ويحكم على مرتكبه بالكفر والخذلان وكذلك اذا كذب الانسان شيأ من النصوص الشرعية الثابت ورودها عن الرسول عليه الصلاة والسلام يقينا كآيات القرآن وأحاديث الرسول المتواترة عنه عليه السلام أى التى نقلها الجماعة الكثيرون الذين يؤمن توافقهم على الكذب أو استحل حراما ثبتت حرمته فى الشرع قطعا وظهرت حكمة قبحه كقتل النفس المعصومة والزنا وأمثال ذلك فان ذلك الانسان يكون قد أخل بالتصديق الايمانى والانقياد الاسلامى وأتى بما يبطلهما ويحكم عليه شرعا بالكفر وعلى كل من كفر والعياذ بالله تعالى أن يبادر لتجديد إيمانه واسلامه ويتوب مما ارتكبه والا فيستحق القتل فى الدنيا والخلود فى النار فى الآخرة نعوذ بالله تعالى وبه نعتصم

﴿ البحث الرابع ﴾

(فى أحكام العقل الثلاثة وهى الوجوب والاستحالة والجواز)

إعلم أنه لما كان الايمان بالله تعالى على ما سيأتى هو معرفة ما يجب لله تعالى وما يستحيل عليه وما يجوز فى حقه سبحانه وكذلك الايمان ببقية ما يجب الايمان به من نحو الرسل والملائكة لزم أن نبين معنى الوجوب والاستحالة

والجواز العقليات التي انحصرت بها أحكام العقل وليس له حكم سواها فنقول اما الوجوب العقلي فهو عدم قبول الانتفاء والشيء الذي لا يقبل الانتفاء يقال له الواجب العقلي مثاله كون الواحد نصف الاثنين و وجود خالق العالم فكون الواحد نصف الاثنين واجب عقلي و وجود خالق العالم واجب عقلي لا يقبلان الانتفاء والعدم لكن الاول واجب عقلي بديهي لا يحتاج الى دليل والثاني واجب عقلي نظري يحتاج الى دليل وأما الاستحالة فهي عدم قبول الثبوت والشيء الذي لا يقبل الثبوت يقال له المستحيل العقلي و يسمى محالا أيضا مثاله كون الثلاثة نصف العشرة و وجود شريك لخالق العالم فكون الثلاثة نصف العشرة مستحيل عقلي و وجود شريك لخالق العالم مستحيل ومحال عقلي لكن الاول مستحيل عقلي بديهي لا يحتاج الى دليل والثاني مستحيل عقلي نظري يحتاج الى دليل

وأما الجواز فهو قبول الثبوت والانتفاء والشيء الذي يقبل الثبوت والانتفاء يقال له الجائز العقلي مثاله سفر زيد أو قلب الحجر ذهبا بقدرة الله تعالى فسفر زيد جائز عقلي وقلب الحجر ذهبا بقدرة الله تعالى جائز عقلي لكن الأول جائز عقلي بديهي لا يحتاج الى دليل و يسمى عاديا أيضا بمعنى أنه يحصل وقوعه في العادة ولا تستغرب به العقول والثاني جائز عقلي غير بديهي يحتاج ثبوت جوازه الى دليل و يسمى غير عادي بمعنى انه

يندر وقوعه في العادة أو انه لم يقع قط ولذلك تستغرب به العقول في بادئ الامر ولكن اذا بحث عنه بالدليل وجدانه جائز الوقوع وليس مستحيل الوجود ومثله انقلاب العصا ثعبانا وانفلاق البحر وعدم حرق النار لجسد الانسان ونطق الحيوان الاعجم وأمثال ذلك فان هذه الاشياء وان كان وقوعها غير عادى لكن اذا بحث عنها بالدليل وجد أنها جائزة الوقوع وداخلة تحت تصرف قدرة موجد العالم سبحانه وتعالى وانا اذا قطعنا النظر عن العادة لم تكن أمثال هذه الاشياء بأغرب من خلق الانسان الذى يكون أولا ترابا ثم ينقلب نباتا ثم غذاء ثم دما ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم حيوانا ناطقا سميعا بصيرا ثم يصير عالما محققا وحكيما مدققا ولولا العادة لكان من أغرب الغرائب عند العقل أن المطر ينزل على الارض الترابية فينبت به أنواع الاشجار والازهار والاثمار المتنوعة الالوان والطعوم والروائح والخواص ولولا العادة لكان من أعجب العجائب أن شرارة صغيرة تخرج من قدح حديدة على حجر فتبتلع مدينة كبيرة بأهلها وجميع ما فيها وتصيرهم رمادا ولولا العادة لكان من أبعد شئ عن التصديق أن قوة غير مرئية تحصل من تفاعل بعض الاجزاء فتحرك الاجسام العظيمة وتجر الاثقال الجسمية وتتناقل بواسطتها أفكار البشر في أقطار الارض الشاسعة ولجج البحار الواسعة الا وهى القوة الكهربائية الى غير ذلك من الكائنات التى ما أزال غرابتها عن العقول الا تكرر وقوعها بيننا ولا فرق بين هذه الاشياء

العادية الوقوع و بين تلك الاشياء غير العادية الوقوع الا حصول العادة في الاولى دون الثانية والا فاذا نظرنا في الدليل العقلي وجدنا أن كلا منهما جائز الوقوع وداخل تحت تصرف قدرة موجد العالم الذي ابتدع هذه الاكوان وأودعها من الاسرار ما تحتار فيه الافكار وليعلم أن تلك الجائزات غير العادية هي التي جعل الله تعالى وقوعها على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام معجزة لهم شاهدة بصدقهم فيما يخبرون به عنه تعالى كما سيأتي شرح هذا في المباحث الآتية ان شاء الله تعالى

﴿ الباب الاول ﴾

(في بيان الايمان بالله تعالى و بيان اعتقاد أهل السنة)
(بالنصوص الشرعية الواردة في صفاته سبحانه)
وفيه ستة فصول

﴿ الفصل الاول ﴾

(في تعريف الايمان بالله تعالى)

إعلم أن معنى الايمان بالله تعالى هو أن يعلم العبد و يعتقد اعتقادا جازما ما يجب لله تعالى من الصفات وما يستحيل عليه من اضدادها وما يجوز في حقه سبحانه فيعتقد اجمالا اعتقادا جازما انه يجب لله تعالى كل صفة كمال

تليق بشأن الألوهية ويستحيل عليه تعالى كل نقص ويجوز فى حقه فعل كل ممكن أو تركه ولكن يجب على العبد أن يعتقد تفصيلا بوجوب ثلاث عشرة صفة كمالية لله تعالى عليها مدار الألوهية وعظمة شأن الربوبية وباستحالة اضدادها عليه سبحانه وتلك الصفات الثلاث عشرة هى الوجود وضده العدم والقدم وضده الحدوث والبقاء وضده الفناء والمخالفة للحوادث وضدها المماثلة للحوادث وقيامه تعالى بنفسه وضده قيامه تعالى بغيره والوحدانية وضدها ان لا يكون واحدا والارادة وضدها الكراهية والقدرة وضدها العجز والعلم وضده الجهل والسمع وضده الصمم والبصر وضده العمى والكلام وضده البكم والحياة وضدها الموت وكمال هذا الاعتقاد أن يكون بالبراهين المفيدة لليقين ولنشرح فى الفصل الآتى بيان وجوب كل صفة من هذه الصفات الثلاث عشرة واستحالة اضدادها مع الدليل المفيد لليقين فى ذلك بعون الله تعالى

﴿ الفصل الثانى ﴾

(فى بيان الصفات الثلاث عشرة التى يجب الايمان تفصيلا)
(بوجوبها لله تعالى وباستحالة اضدادها مع الدليل المفيد)
اليقين فى ذلك

الصفة الاولي الوجود

يجب لله تعالى الوجود و يستحيل عليه ضده وهو العدم والدليل على ذلك أن هذا العالم المشاهد لنا بجميع مايحويه حادث وكل حادث لا بد له من محدث فهذا العالم لا بد له من محدث أما الدليل على أن هذا العالم حادث فهو كونه ملازما للاعراض الحادثة من الحركة والسكون والصور الحيوانية أو النباتية أو المعدنية أو غيرها من الصور التى لا تخلو مادة العالم وجوهره عن واحدة منها وكل ملازم للحادث يكون حادثا وتوضيحه أن هذه الأعراض حادثة بدليل أن كل واحد منها يزول ويخلفه غيره والقديم لا يزول لانه اما قديم لذاته واما قديم لغيره بمعنى ان شيأ آخر قديما استلزم وجوده ومادامت ذات القديم قائمة أو الذى استلزمه قائما فلا يجوز عقلا زواله فاذا ثبت كون هذه الاعراض حادثة نقول أصل مادة العالم وجوهره إما أنه كان موجودا قديما وخاليا عن اعراض وهذا باطل لان الأعراض ملازمة له لا يخلو عنها جميعها اذ لا يتصور خلوه عن الحركة والسكون وجميع الصور واما أن يقال حدث وحدثت تلك الاعراض معه فثبت حينئذ أنه حادث والأعراض أيضا حادثة فثبت أن هذا العالم بجميع مايحويه حادث وهو المطلوب

يد وأما الدليل على ان كل حادث فلا له من محدث فلانه لو وجد الحادث

بدون محدث يلزم الترجيح بلا مرجح وهو من المستحيلات البديهية. وتوضيحه لمن قد يخفى عليه ذلك أن العقل لا يصدق بأن احدى كفتي ميزان متساويتين في الثقل بينما كانتا متوازنتين أو اليسرى مثلا مائلة و بالغة بميلها الى الارض بسبب من الاسباب اذ رجحت اليمنى على اليسرى وارتفعت اليسرى الى غاية ما يمكن من ارتفاعها وأن ذلك حصل بدون مرجح للكفة اليمنى الراجحة لا بقوة حيوان ولا بمصادمة هواء ولا جسم آخر سقط فيها ولا بشيء مما يصلح لترجيحها ومن يصدق بهذا عد من الحمقاء ولا فرق بين هذا المثال وبين جميع ما يتصور من الحقائق سواء كانت حسية أو عقلية في أن الترجيح بلا مرجح فيها من المستحيل كما هو ظاهر فثبت بهذا أن وجود الحادث بلا محدث مستحيل فلا بد لكل حادث من محدث يخرجه من ظلمة العدم الى نور الوجود فتمت لنا الدعوى وهي أن هذا العالم الحادث لا بد له من محدث ثم ان هذا المحدث لا بد أن يكون موجودا لان المعدوم لا يصلح أن يكون موجد الشيء كما هو ظاهر فثبت بجميع ما تقدم وجوب وجود محدث موجد لهذا العالم واستحالة عدمه وهو المطلوب من هذا البحث وقد سمى العقلاء هذا الموجد للعالم بالله العالم و وردت الشرائع بتسميته باسم الجلالة وهو الله تبارك وتعالى

﴿ الصفة الثانية (القدم) ﴾

يجب لله تعالى القدم و يستحيل عليه تعالى ضده وهو الحدوث والدليل على ذلك أنه سبحانه لو كان حادثا لاحتاج الى محدث ومحدثه مع فرضه حادثا يحتاج الى محدث وهكذا فيلزم إما الدور و إما التسلسل وكل من الدور والتسلسل محال فما أدى الى واحد منهما وهو حدوث الله تعالى يكون محالا واذا استحال حدوثه وجب أن يكون قديما وهو المطلوب

أما الدور فهو توقف وجود كل من الشيئين على وجود الآخر فيلزم ان كلا منهما وجد قبل وجود سببه فيلزم أن يوجد قبل وجود ذاته وهو ظاهر البطلان فلو قلنا أن الاله الذى توقف عليه وجود العالم توقف وجوده على العالم لزم أن العالم قد وجد قبل وجود الاله الذى كان سبب وجوده فيلزم أن يكون وجد العالم قبل وجود ذاته وهو ظاهر البطلان

وأما التسلسل فهو ترتب أمور وتعاقبها فى جانب الازل لانهاية لها و إنما حكم العقل باستحالته لأنه يستلزم المحال وما يستلزم المحال يكون محالا وقد ذكر العلماء لبيان استحالة التسلسل عدة أدلة نذكر منها هنا ما يسهل فهمه فنقول لاشك أن العقل يحكم قطعا بأن الشيء الذى يكون محصورا بين حاصرين لابد أن يكون متناهيا واجتماع كونه محصورا بين حاصرين وكونه غير متناه محال فلو كان التسلسل جائزا عقلا لساغ لنا أن نفرض خطين يخرجان من

نقطة بصورة ساقى شكل مثلث ذاهبين الى غير نهاية فاجزاؤهما بمنزلة أمور مرتبة متعاقبة فى جانب الازل غير متناهية ثم لنا أن نفرض المسافات التى بين هذين الخطين ونعتبرها خطوطا تمتد وتطول كلما امتد الخطان وتباعدا هكذا فاذا قلنا بعدم تناهى الخطين يلزم منه عدم تناهى المسافات بينهما التى اعتبرناها خطوطا فلا بد أن تنتهى الى خط من تلك الخطوط غير متناه والحال أنه محصور بين حاصرين وهما الخطان وقد تقدم أن المقدار الذى يكون محصورا بين حاصرين لا بد أن يكون متناهيا واجتماع كونه محصورا بين حاصرين وكونه غير متناه محال فما أدى اليه وهو عدم تناهى الخطين الذى فرضنا فيه التسلسل يكون محالا فبعد بيان أن كلا من الدور والتسلسل محال يثبت أن الاله الذى هو موجد العالم لا تجوز أن يكون حادثا عن شئ آخر والا يلزم الدور فيما لو قلنا أن وجود الاله متوقف على وجود العالم أو التسلسل فيما لو قلنا أن وجود الاله متوقف على وجود شئ آخر والشئ الآخر متوقف على آخر وهكذا الى غير نهاية وكل من الدور والتسلسل محال كما تقدم فما يؤدى الى واحد منهما وهو كون الاله حادثا متوقفا على غيره يكون محالا واذا استحال حدوثه وجب أن يكون قديما اذ لا واسطة بين الحدوث والقدم ووجوب قدمه سبحانه واستحالة حدوثه هو المطلوب

ثم بعد ثبوت قدم الله تعالى واستحالة حدوثه نقول ان قدمه سبحانه لذاته وليس قدمه لغيره بمعنى أن أمرا آخر اقتضى وجوده لأنه لو قيل بأنه قديم لغيره لانتقل الكلام الى ذلك الغير ويقال هل هو قديم لذاته أو لغيره وهكذا الى غير نهاية فيلزم التسلسل وهو محال فلم يبق الا القول بأنه قديم لذاته أى أنه ليس مستندا فى قدمه الى سواه

﴿ الصفة الثالثة (البقاء) ﴾

يجب لله تعالى البقاء و يستحيل عليه ضده وهو الفناء والزوال والدليل على ذلك أنه قد ثبت وجوب القدم الذاتى لله تعالى واستحالة الحدوث عليه سبحانه ومادام أنه تعالى قديم لذاته وذاته تعالى قائمة وقيامها يستلزم وجودها فلا يجوز أن يقبل الفناء والزوال فثبت بهذا أن الله تعالى يجب له البقاء و يستحيل عليه ضده وهو الفناء وهو المطلوب

﴿ الصفة الرابعة (المخالفة للحوادث) ﴾

يجب لله تعالى المخالفة للحوادث و يستحيل عليه ضدها وهو المماثلة للحوادث بأن يكون تعالى مشابها لهذه الموجودات الحادثة فى خاصة من خواصها التى من طبيعة نفسها أن تكون لازمة لها لا تنفك عنها أو من طبيعة نفسها أن تقبلها سواء كانت توجد فى جميع الانواع منها أو فى بعضها وذلك كالجوهرية والجسمية والعرضية والتحيز والتركب والتجزؤ

والتولد عن الغير و ولادة الغير والاتصال والانفصال والحيوانية والنباتية والمعدنية والانتقال من حيز الى حيز والانفعالات النفسية كالضحك والتعجب وأمثال ذلك لأن الاله سبحانه لو شابه هذه الموجودات الحادثة في شيء من تلك الخواص لكان مثلها لأن الشيء الذي يشابه شيأ آخر في خاصة من خواصه يكون مثله البتة ولو كان الاله مثلها لجاز عليه ما جاز عليها من الحدوث والفناء لأنه ما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر وقد قام الدليل على وجوب قدمه تعالى و بقائه واستحالة حدوثه وفنائه فقد ثبت بهذا أن الله تعالى لا يجوز عليه أن يشابه هذه الموجودات الحادثة فوجب له مخالفتها واستحال عليه المماثلة لها وهو المطلوب

(الصفة الخامسة (قيامه تعالى بنفسه))

يجب لله تعالى قيامه بنفسه و يستحيل عليه تعالى ضده وهو قيامه بغيره بمعنى احتياجه الى مكان يقوم فيه أو محل يحل فيه أو مخصص يخصصه أو موجد يوجده والدليل على ذلك أنه قد ثبت في دليل المخالفة للحوادث أنه تعالى ليس جوهرا ولا جسما فلا يحتاج الى مكان يقوم فيه لأن الاحتياج الى المكان من خواص الجواهر والاجسام وثبت هنالك أنه تعالى ليس عرضا فلا يحتاج الى محل يحل فيه و يتقوم به كما تحتاج الاعراض مثل الألوان والطعوم الى ذلك وثبت أيضا انه تعالى قديم فلا يحتاج الى مخصص يخصصه و موجد يوجده فثبت وجوب قيامه تعالى بنفسه واستحالة قيامه

بغيره وهو المطلوب

﴿ الصفة السادسة (الوحدانية) ﴾

يجب لله تعالى الوحدانية أى انه تعالى واحد فى ذاته وفى صفاته وفى أفعاله ويستحيل عليه ضدها وهو أن لا يكون تعالى واحدا فيإذ كر بأن يكون مركبا فى ذاته أو فى صفاته أو يكون له مماثل فى ذاته أو فى صفاته أو له مشارك فى خلق فعل من الأفعال

أما الدليل على انه تعالى ليس مركبا فى ذاته ولا فى صفاته فهو أنه تعالى لو كان مركبا فى واحد منهما لاشبه الحوادث فى خاصة من خواصها ومقتضيات ذاتها وهو التركيب كما تقدم فى دليل مخالفته تعالى للحوادث فيكون حادثا مثلها وقد قام الدليل على وجوب قدمه تعالى واستحالة حدوثه واما الدليل على انه تعالى ليس له مماثل فى ذاته ولا فى صفاته فلانه لو وجد له مماثل فى ذاته يجب لذلك المماثل مايجب له تعالى و يستحيل عليه مايستحيل عليه سبحانه وتعالى أو وجد له مماثل فى صفاته الواجبة القديمة لاسيما فى تمام القدرة على كل ممكن كما سيأتى فى اثبات وجوب القدرة التامة له تعالى لكان ذلك المماثل فى الذات أو فى الصفات الواجبة القديمة إله ولو كان معه سبحانه وتعالى فى الوجود إله لما وجد هذا العالم كما أشير اليه بقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) أى لو كان يقوم فى خلق السموات

والأرض آلهة غير الله تعالى أى وان كان الله تعالى معهم لفسدتا أى لم توجدا وشرح هذا الدليل أن يقال لو تعدد إله العالم كأن يكون هنالك إلهان أو أكثر اذ لا فرق فى هذا الاستدلال لما وجد شيء من هذا العالم لكن عدم وجود شيء من هذا العالم باطل لانه موجود ثابت بالمشاهدة فما أدى اليه وهو تعدد الاله يكون باطلا واذا بطل التعدد ثبتت الوحدانية وهو المطلوب وانما يلزم من وجود إلهين عدم وجود شيء من العالم لانهما اما أن يتفقا على ايجاد هذا العالم واما أن يختلفا فان اتفقا فلا جائز أن يوجداه لانه اما أن يحصل بايجاد كل منهما وجود للعالم مستقل فيلزم أن له وجودين وهو انما له وجود واحد فقط واما أن لا يحصل بايجادهما الا وجود واحد للعالم فيلزم ان كلا منهما لم يوجده بانفراده بل بمشاركة الآخر فيكون هذان الإلهان قد ركبا وجعلا إلها واحدا ينسب اليه الايجاد ولا ينسب لواحد منهما على الاستقلال لانه جزء الموجد لا موجد مستقل و إله العالم انما هو موجده المستقل اذ يلزم له كمال القدرة وغيره المستقل يكون عاجزا محتاجا الى معين وأيضا اذا قيل ان الاله حقيقة هو المجموع المركب من الاثنين قلنا قد ثبت ان التركيب محال على الاله لوجوب مخالفته للحوادث فى صفاتها التى من خواص نفسها ومنها التركيب ولا جائز أن يوجده أحدهما ثم يوجده الآخر لان هذا تحصيل حاصل وهو محال كما هو ظاهر ولا جائز أن يوجد أحدهما البعض من هذا العالم والآخر البعض الآخر للزوم عجزهما حينئذ لانه لما

تعلقت قدرة أحدهما بالبعض سد على الآخر طريق تعلق قدرته به وهذا عجز ينافي تمام القدرة على كل شيء والعجز على الاله محال كما سيأتي من وجوب تمام قدرته تعالى على كل جائز وان اختلفا بأن أراد أحدهما ايجاد هذا العالم والآخر اعدامه فلا جائز أن تنفذ ارادتهما معا لئلا يلزم على هذا اجتماع النقيضين وهو وجود العالم وعدمه في آن واحد وهو محال ولا جائز أن تنفذ ارادة أحدهما دون الآخر للزوم عجز من لم تنفذ ارادته والآخر مثله لانعقاد المماثلة بينهما وقد يقال اذا نفذت ارادة أحدهما دون الآخر كان الذي نفذت ارادته هو الاله دون الآخر لعجزه وتم دليل الوحدانية

ودليل آخر على استحالة تعدد الاله انه لما وجب وجود إله للعالم بدليل ان الحوادث لا بد لها من محدث فاذا وجد إله آخر فأما أن لا يكون كل منهما كافيا في ايجاد العالم فلا يكون كل منهما إلها لان الاله هو الكافي المستقل واما أن يكون واحد منهما كافيا فالثاني يكون ضائعا لا حاجة اليه والاله لا يكون كذلك

وأما الدليل على انه تعالى ليس له مشارك في فعل من الافعال فلان الحوادث في هذا الكون اما هي حدوث حيوان أو نبات أو معدن أو حركات غير الحيوانات كحركات الكواكب والرياح أو حركات الحيوانات غير الاختيارية كحركة نموها وحركة انتعاشها الحاصلة بسبب الحمى مثلا فهذه الاشياء من البديهي انه ليس لسوى الله تعالى من المخلوقات دخل في

ايجادها واحداثها ومما يجزم به كل عاقل انه لم يصوره بصورته التى هو عليها أبوه أو أمه أو أحد من الخلق فيقال بعد ذلك ان الدليل على تفرد الله تعالى بايجاد جميع ما ذكر هو نظير الدليل على أنه تعالى ليس له مماثل فى ذاته ولا فى صفاته اذ نقول فى ايجاد كل منهما لو كان هناك موجدان فأما أن يتفقا فى ايجاد كل شىء مما ذكر واما أن يختلفا ويتم الدليل الى آخره كما تقدم قريبا فيثبت انه ليس خالق لهذه الاشياء الا الله تعالى وأما أن تلك الحوادث حركات العباد الاختيارية من نحو قيام زيد ومشى عمرو ونحو ذلك فهذه أيضا انما المتفرد بخلقها وايجادها هو الله تعالى والدليل على ذلك انه لو كان العبد هو الموجد والخالق لفعله الاختيارى لكان عالما بتفاصيله لكن علمه بتفاصيله باطل فكونه هو الموجد له يكون باطلا فلم يبق الا أن الموجد له هو الله تعالى الذى أوجد بقية الكائنات ولم يشاركه فيها مشارك والدليل على بطلان علم العبد بتفاصيل فعله أن النائم تحصل عنه أفعال اختيارية لا شعور له بتفاصيل مقاديرها وكيفياتها وان الكاتب يصور الحروف والكلمات بتحريك أنامله من غير شعور له بما للأنامل من الاجزاء والاعضاء أعنى العظام والغضاريف والأعصاب والعضلات والرباطات ولا بتفاصيل حركاتها وأوضاعها التى بها تتأتى تلك الصور والنقوش ثم انه قد تواترت النصوص الشرعية بأن الخالق لأفعال العباد هو الله تعالى قال تعالى فى كتابه العزيز (والله خلقكم وما تعملون) وقال تعالى (هل

من خالق غير الله) ويسوغ لأهل الايمان الاعتماد فى عقائدهم على هذه النصوص الثابتة فى الدين المحمدى المبين وأخذها دليل عقيدتهم على أن الخالق لافعال العباد هو الله تعالى لكن للعبد كسبا فى أفعاله الاختيارية هو مناط الثواب والعقاب وبه صح نسبة الفعل الى العبد فى قولنا فعله قال الامام الاعظم أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه فى الفقه الاكبر مانصه وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله خالقها انتهى . قال مفسر كلامه من الأئمة الكرام يعنى ان أصل الفعل بقدرة الله تعالى والاتصاف بكونه طاعة أو معصية بقدرة العبد وببيان آخر أن العبد يوجد ارادته الى الفعل ويعلق قدرته به فيكون ذلك منه سببا لاتصافه به كبقية الاسباب فى جانب مسبباتها وهذا من العبد هو الكسب والله تعالى عند ذلك يوجده بقدرته وهذا هو الخلق وهذا هو المذهب المتوسط بين الافراط والتفريط فلانقول بأنه لادخل للعبد فى جميع أفعاله ولانقول بأنه لادخل لله فى أفعال العباد الاختيارية بل نقول ان الله تعالى خالق أفعالهم وهم يكتسبونها وعلى كسبهم يثابون أو يعاقبون

﴿ الصفة السابعة (الارادة) ﴾

يجب لله تعالى الارادة وهى صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يخصص بها كل جائز ببعض مايجوز عليه ويستحيل عليه ضدها وهو الكراهية والدليل

على ذلك انه قد ثبت أن هذا العالم لم يحدث بذاته وانما حدث عن الله سبحانه وحينئذ نقول ان حدوث العالم عنه تعالى اما أن يكون بطريق العلية والضرورة بدون ارادة واختيار واما أن يكون بطريق الارادة والإختيار أي انه هو الذي أراد وجوده واختاره وعين له الوقت الذي يوجده فيه لاجائز أن يكون حدوث العالم عنه تعالى بطريق العلية والضرورة بدون اختيار لانه لو كان الامر كذلك والله سبحانه قديم للزم أن يكون العالم قديما لانه حينئذ يكون معلولا لله تعالى والمعلول يجب أن يتبع علته ولا يتأخر عنها وقد ثبت أن العالم حادث وجد بعد أن لم يكن فلم يكن حدوثه عن الله تعالى بطريق العلية والضرورة فلم يبق الا أنه حدث بارادة الله تعالى واختياره وتخصيصه له الوقت الذي يوجده فيه فقد ثبت بهذا أن الله تعالى إله العالم مريد مختار فوجبت له الارادة واستحال عليه ضدها وهو الكراهية وهو المطلوب

﴿ الصفة الثامنة (القدرة) ﴾

يجب لله تعالى القدرة وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يوجد بها الحوادث ويعدمها ويستحيل عليه ضدها وهو العجز والدليل على ذلك ايجاده سبحانه لهذا العالم وما احتوى عليه من الأنواع ذات العظمة والغرابة من نحو عالم الحيوان وعالم النبات وعالم المعادن التي تشتمل على مئات الألوف

من الأصناف التى تحتار فى عظمتها وغرابتها العقول وتغرق فى بحار عجائبها الفهوم ولا يصدق العقل السليم ومن أجلى المستحيلات عنده ان من أوجد هـذا العالم بهذه العظمة والجلالة والغرابة يكون عاجزا مسلوب القـدرة فثبت بهذا أن الله تعالى إله هذا العالم الذى أوجده من العدم بتلك العظمة يجب له القدرة و يستحيل عليه ضدها وهو العجز وهذا هو المطلوب

﴿ الصفة التاسعة (للعلم) ﴾

يجب لله تعالى صفة العـلم وهى صفة قـديمة قائمة بذاته تعالى تنـكشف له بها جميع الأشياء من الواجبات والجائزات والمستحيلات فيعلم سبحانه كل شئ منها على ما هو عليه من الوجوب أو الاستحالة أو الجواز و يستحيل عليه تعالى ضده وهو الجهـل والدليل على ذلك إيجاده سبحانه لهذا العالم بما احتوى عليـه من العجائب والغرائب مع نهاية الاتقان وغاية الاحكام بما تحتار فى دقيق صـنعه العقول وفى اتقانه الفهوم و يتضح هـذا من نظر الانسان فى أقرب الأشياء اليـه وهو ذاته المشتملة على التـدبير الباهر والاتقان الذى تحتار فيه الأذهان فـكيف اذا تأمل فى عجائب الـكوا كب ونظامها وعالم الحيوان والنبات والمعدن وما حوته من الأنواع والموافقات والاختلافات الى غير ذلك من العجب العجاب ومن المستحيل عند العقل السليم أن الذى أوجد هذا العالم بهذا الاتقان والاحكام ودقيق الصنعة وعجيب الوضع يكون

جاهلا غير عالم فثبت بهذا أن الله تعالى إله العالم الذى أوجده بهذا الاتقان يجب له العلم و يستحيل عليه ضده وهو الجهل وهذا هو المطلوب

وتوضيح دليل وجوب القدرة والعلم لله تعالى بنوع من البسط أن نقول ان من نظر مثلا ساعة من الساعات التى يستعلم بها الوقت المحتوية على عدة آلات هندسية متقنة محكمة حتى وفت بالغرض وضبطت الاوقات حتى الثوانى منها لا شك عنده ولا ريب فى أن لها صانعا صنعها وان هذا الصانع له قدرة كافية لصنعها وعلم كاف لاتقانها وأحكامها حتى تفى بالغرض المقصود منها. ومن يصدق بأنها حصلت وتكونت بنفسها بطريق الصدفة بدون صانع صنعها وأتقنها أو ان صانعها عاجز مقطوع اليدين والرجلين جاهل بفنون الهندسة والصنائع بل هو خامل الفكر جاهل بكل علم ومع ذلك صنعها بذلك الاتقان والاحكام فيعد هذا المصدق من الحمقاء الذين لا يفرقون بين الارض والسماء فكذلك اذا نظرنا فى هذا العالم معما احتوى عليه من عجائب كواكبه وغرائب حيوانه ونباته ومعدنه التى ملأت علومها الكتب وطفحت بها الصحف ولم نزل قاصرين عن الاحاطة بكل ما اشتملت عليه من العظمة والغرابة كما يعلم من الاطلاع على كتب الفنون. المتكفلة بالكلام على هذه العوالم نجزم قطعا مع غاية اطمئنان فلو بنا بان هذا العالم بجميع مشتملاته لابد له من صانع صنعه وأبرزه بهذا الاتقان والاحكام ونوع أنواعه وصنف أصنافه وميز أشخاصه وهو قادر أتم القدرة

وعالم أكمل العلم يستحيل عليه العجز والجهل ومن نسب ذلك الصنع العظيم العجيب الى حدوثه بنفسه صدفة واتفاقا أو الى شئ آخر عاجز جاهل خال عن كل إدراك ومعرفة فلاشك أنه من أحمق الحمقاء وأجهل الجهلاء وان تستر بتمويهات واهية وخرافات ساقطة اذ فطرة العقل السليم تأبى تصديق دعواه الباطلة فنحن نجزم بما اعتقدناه من نسبة صنع هذا العالم للاله القادر العليم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

﴿ الصفة العاشرة (السمع) ﴾

يجب لله تعالى صفة السمع وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بصماخ وأذن تنكشف بها مسموعاته تعالى ويستحيل عليه ضده وهو الصمم والدليل على ذلك ان الصمم نقص والنقص على إله العالم الذي أوجده مكملا ووهب السمع لبعض أنواعه وجعله من أكبر النعم عليهم محال واذا استحال عليه سبحانه الصمم وجب له السمع وهو المطلوب

﴿ الصفة الحادية عشرة (البصر) ﴾

يجب لله تعالى صفة البصر وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بمقلة ولا حدقة تنكشف له تعالى بها مبصراته ويستحيل عليه تعالى ضده وهو العمى والدليل على ذلك ان العمى نقص والنقص على الله تعالى الذي أوجد هذا العالم مكملا وزين بعض أنواعه بنعمة البصر محال واذا استحال

عليه تعالى العمى وجب له البصر وهو المطلوب

﴿ الصفة الثانية عشرة (الكلام) ﴾

يجب لله تعالى صفة الكلام وهى صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت تدل على الواجبات والمستحيلات والجائزات ما كان منها وما يكون يفهم بها سبحانه ما يريد إفهامه لاحد عباده و يستحيل عليه ضده وهو البكم والدليل على ذلك أن البكم نقص والنقص على الله تعالى إله العالم الذى أوجده وكمل بعض أنواعه بالنطق والكلام محال واذا استحال عليه سبحانه البكم وجب له الكلام وهو المطلوب

وتوضيح دليل وجوب صفة السمع والبصر والكلام له تعالى واستحالة اضدادها وهى الصمم والعمى والبكم بنوع بسيط أن نقول إن الصفات التسع التى تقدم اثبات وجوبها له تعالى واستحالة اضدادها وهى اى تلك الصفات الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث وقيامه بنفسه والواحدانية والارادة والقدرة والعلم وان كان عليها مدار الألوهية و وجود إله متصف بها يكفى فى توجيه وجود هذا العالم و يقنع العقل السليم لكننا اذا تأملنا بعد ذلك فى شأن هذا الاله سبحانه وفى بديع مصنوعاته وما احتوت عليه من كمال الاتقان والإحكام بحيث إنه سبحانه أعطى كل شىء كماله وكل ما يقوم بوجوده و يصلح لشأنه نجزم بأنه اذا كانت مصنوعاته فى هذا

الكمال فمن المستحيل أن يكون هو سبحانه ناقصا لأننا في جميع ما نتصوره لا نجد الشيء يوجد مثله فضلا عن أن الناقص يوجد ويبتدع الكامل أو أن الكامل يوجد أكمل منه هذا الانسان هو أعلم الحيوانات وأقدرها في الصناعة مهما صنع وابتدع فانه لا يقرب في صنعه من الكمال الذي هو قائم فيه فضلا عن أن يصنع مثله أو أكمل منه فلا يقدر على صنع نبات فضلا عن صنع حيوان أو انسان بل لو سقطت شعرة من جسده لا يقدر على اعادتها كما كانت وما تراه يجري على يده من ظهور النبات والحيوان فانما هو بمباشرته الامور التي جعلها الله تعالى أسبابا عادية لتولد النبات أو الحيوان فتراه يضع البزر في الارض ويعرضه للحرارة ويسقيه الماء فينبت منه النبات وهو لا يدري كيف نبت وحدثت فيه سائر خواصه من اللون والطعم والرائحة وغير ذلك وكذلك يضع بيض الطائر في الحرارة فيتولد منه طائره وهو لا يدري كيف تكون ذلك الطائر وشق سمعه وبصره وتصور لحمه ودمه وسائر أعضائه وفي هذا بيان ظاهر أن الانسان لم يصنع النبات والحيوان وانما تسبب في صنعهما مع جهله بكيفية نشأتهما عن أسبابهما وإله العالم هو المتفرد بصنعهما جل وعز فعلى جميع ما تقدم نجزم بأن هذا الاله الذي أوجد العالم من العدم ونوع منه الانواع التي تحار فيها الافهام وكمل بعضها بالسمع والبصر والكلام يجب أن يكون له مرتبة الكمال في صفاته التي ثبتت لدينا بالدليل العقلي وفي كل صفة كمالية تليق به تعالى والا كان

دون مصنوعاته وذلك خلاف مايصدق به العقل فنعتقد انه سبحانه وتعالى سميع بصير متكلم بل متصف بكل صفة كمال تليق بشأن الألوهية ويستحيل عليه تعالى الصمم والعمى والبكم وهو الذى أبدع السمع وأنار البصر وأطلق اللسان بالكلام كما يستحيل عليه تعالى أن يكون ناقصا فى صفة كمالية وقد أوجد فى مصنوعاته كل كمال

هذا ويسوغ لنا معشر المسلمين أن نكتفى فى اعتقاد ثبوت هذه الصفات الثلاث وهى البصر والسمع والكلام له تعالى على الدليل السمعى من نحو قوله تعالى (وهو السميع) البصير وقوله (وكلم الله موسى تكليما) ونخرج بذلك عن خطة التقليد كما هو مقرر

﴿ الصفة الثالثة عشرة (الحياة) ﴾

يجب لله تعالى صفة الحياة وهى صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تصحح عقلا اتصافه بصفاته الجليلة من نحو القدرة والارادة والعلم ويستحيل عليه تعالى ضدها وهو الموت والدليل على ذلك أنه لو كان ميتا لما صح اتصافه بصفاته التى قام الدليل على وجوب اتصافه بها من نحو القدرة والارادة والعلم لكن قام الدليل على وجوب اتصافه بها فمن المحال أن يكون سبحانه وتعالى ميتا واذا استحال عليه الموت وجب له الحياة وهو المطلوب

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في بيان أن من صفات الله تعالى التي تقدمت ما يتعلق بالاشياء ومعنى تعلقها وأن منها ما لا يتعلق بشيء)

اعلم أن صفات الله تعالى الثلاثة عشرة التي تقدم لنا إقامة الدلائل على وجوبها له تعالى واستحالة اضدادها منها ما لا يتعلق بشيء وهي سبع صفات الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث وقيامه بنفسه والوحدانية والحياة ومعنى عدم تعلقها بشيء أنه لا يكون بها تخصيص الأشياء ولا إيجادها ولا كشفها ولا الدلالة عليها كما يكون للصفات الآتية ومنها ما له تعلق بالاشياء وهي ست صفات له تعالى وهي الارادة والقدرة والسمع والبصر والعلم والكلام

أما الارادة والقدرة فيتعلقان بالجائزات فقط ولا يتعلقان بالواجبات والمستحيلات فالارادة تتعلق بالجائز تعلق تخصيص فيخصص الله تعالى بها في الازل الجائز ببعض ما يجوز عليه مثلا يخصص الله تعالى في الازل زيدا بأنه يوجد أم لا وبأنه اذا وجد يكون على صفة كذا في الزمن الفلاني والمكان الفلاني والجهة الفلانية من الارض، وهلم جرا وبهذا التخصيص يجب أن يكون هذا الجائز على ما خصصه الله تعالى به بارادته ويستحيل أن يكون بخلاف ذلك لانه لو كان بخلاف ما أراده الله تعالى فيه لزم

أن يكون الله تعالى كارها مقهورا يحصل فى ملكه ما لا يريده. وهى حالة لا يرضى بها المخلوق المملوك فما بالك بالخالق مالك الملوك سبحانه وتعالى والقدرة له تعالى تتعلق بالجائز تعلق تأثير بايجاده أو باعدامه على طبق ما تعلقت به الارادة فى الازل مثلا اذا تعلقت ارادته تعالى فى الازل بايجاد زيد على صفة كذا فى زمن كذا فى مكان كذا فاذا جاء الزمن الذى تعلقت ارادته تعالى بايجاد زيد فيه تعلقت قدرته تعالى بايجاده فيوجده سبحانه فيه بقدرته على الصفة التى خصصه بها فى المكان الذى خصصه له بارادته وكذلك اذا تعلقت إرادته تعالى باعدام عمرو على وجه مخصوص تعلقت قدرته تعالى باعدامه فيعدمه سبحانه بقدرته على طبق تعلق الارادة بدون تخلف والا لزم تخلف ارادة الله تعالى وهو محال كما تقدم قريبا

واعلم تتعلق كل من ارادة الله تعالى وقدرته لا ايجادا ولا إعداما بالواجبات كذاته تعالى وصفاته وملازمة الجرم للحيز ولا بالمستحيلات كالشريك له تعالى والجمع بين النقيضين ككون زيد موجودا معدوما فى آن واحد فلأن الواجب حاصل حتما ولا يمكن خروجه عن الوجود الى العدم فلا تتعلق به الارادة والقدرة لا ايجادا لأن ذلك تحصيل حاصل وهو محال ولا إعداما لاستحالة عدمه وخروجه عن الوجود ولان المستحيل معدوم حتما ولا يقبل الوجود فلا تتعلق به الارادة والقدرة لا إعداما لأن ذلك تحصيل حاصل وهو محال ولا إيجادا لاستحالة وجوده وخروجه عن العدم وعلى تقرير هذا

المقام لو سأل سائل وقال هل يقدر الله تعالى على إعدام الواجب الفلاني أو على ايجاد المستحيل الفلاني كشريكه تعالى فالجواب المقترن بالأدب ان نقول إن البرهان قد دل على ان قدرة الله تعالى لا تتعلق بالواجبات ولا بالمستحيلات لا ايجادا ولا إعداما وما ذكرت أيها السائل فهو من الواجبات أو من المستحيلات فقدرة الله لا تتعلق بهما ولا نقول انه تعالى لا يقدر على ذلك لأن هذا من سوء الادب في جانب الحضرة الآلهية و يوهم العجز عليه تعالى وتقدس

واما السمع والبصر له تعالى فيتعلقان بجميع الموجودات سواء كانت واجبات أو جائزات تعلق انكشاف ولا يتعلقان بالمعدومات سواء كانت مستحيلات أو جائزات فيرى سبحانه وتعالى ذاته الكريمة وصفاته و يسمع كلامه كما انه يرى و يسمع كل مرئي ومسموع جائز من مخلوقاته فيرى الذرة في الليلة الظلماء و يسمع صوت مشيها على الصخرة الصماء لان سمعه و بصره تعالى ليس كسمع الحوادث و بصرهم الحادثين الناقصين المتوقف ادراكهما على شروط وأسباب عادية

وأما علمه تعالى وكلامه سبحانه فيتعلقان بالواجبات والمستحيلات والجائزات الموجودات منها والمعدومات أما علمه فيتعلق بهذه المذكورات تعلق انكشاف فيعلم الله تعالى بعلمه الواجب وانه واجب وذلك كذاته المقدسة وصفاته و يعلم بعلمه المستحيل وانه مستحيل وذلك كالشريك له

تعالى ويعلم الجائز وانه جائز سواء كان موجودا أومعدوما سيوجد أو لايوجد فيعلمه سبحانه على ماهو عليه ولا يعزب عن علمه سبحانه شيء من كلى أوجزئى فى الأرض أوفى السماء فيعلم عدد الرمال وقطرات الامطار وورق الاشجار وذرات الكائنات ولانهاية لمعلوماته سبحانه وأما كلامه تعالى فيتعلق بالواجبات والمستحيلات والجائزات تعلق دلالة فكلامه سبحانه الذى ليس بحرف ولاصوت يدل على كل واجب ومستحيل وجائز موجود أومعدوم بكل ماهو عليه ويفهم الله تعالى بكلامه كل واحد منها لمن أراد إفهامه من عباده كملائكته ورسله عليهم الصلاة والسلام

﴿ الفصل الرابع ﴾

﴿ فى بيان أنه يجب أن نعتقد بجميع صفاته تعالى وأسمائه ﴾
(التى ورد الشرع بما يفيد ثبوتها له تعالى مع بيان)
« أن أسماءه تعالى توقيفية »

إعلم انه لما ثبت عندنا معشر المسلمين ان سيدنا ﴿ محمدا ﴾ بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم هو رسول الله تعالى بدليل ماظهر على يديه من المعجزات الخارقة للعادة التى كان ظهورها على يديه تصديقا له من جانب الله تعالى بدعوى الرسالة وحيث ثبت أنه رسول الله يجب له الصدق فى جميع مايخبر به ويستحيل عليه الكذب كما سيأتى برهان جميع ذلك فى

الباب الثانى ان شاء الله تعالى وجب علينا وصح لنا تصديقه فى جميع ماجاء به فى نصوص شريعته من اثبات الصفات لله تعالى وقد جاء فى نصوص شريعته من القرآن الشريف وحديثه المنيف مايفيد وصف الله تعالى بالصفات التى تقدم ذكرها مع اثباتها لله تعالى بالدليل العقلى واستحالة أضدادها وهى التى عليها مدار الالوهية وعظمة شأن الربوبية وجاء أيضا فى نصوص الشريعة مايفيد وصف الله تعالى بصفات أخرى كمالية من أنه تعالى عدل حكيم صمد هاد خالق رزاق قيوم الى أمثال ذلك مما طفحت به نصوص الشريعة المحمدية فيجب الايمان بجميع ماورد له تعالى من الصفات العلية فى نصوص الشريعة الأحمدية لان المخبر بها وهو رسول الله صادق مجزوم بصدقه بما اقام من دلائل رسالته من عند الله تعالى

ثم كما جاءت نصوص الشريعة باثبات الصفات له تعالى كذلك جاءت باثباته اسمائه سبحانه التى سمى بها نفسه ومنها لفظ الله الذى هو الاسم الخاص به تعالى وهذا اللفظ الكريم كما أن اللغة العربية تطلقه على الاله سبحانه قبل ارسال سيدنا ﴿ محمد ﴾ عليه الصلاة والسلام كذلك جاءت الشريعة باطلاقه عليه تعالى فتسميته تعالى به تسمية شرعية نعتمد بها على نص الشريعة وهكذا بقية أسمائه تبارك وتعالى فتسميته بكل منها شرعية ولا يجوز تسميته باسم لم يرد به الشرع الشريف وهذا معنى قول علماء الاسلام إن أسماء الله تعالى توقيفية أى ان اطلاق كل اسم منها عليه بتوقيف الشرع

الشريف ولا يجوز اطلاق اسم عليه تعالى بدون توقيفه

الفصل الخامس

﴿ فى بيان ما ورد فى نصوص الشريعة نسبته الى الله تعالى ﴾
(مما يوهم التشبيه والمماثلة للحوادث وبيان كيفية)
(اعتقاد أهل السنة والجماعة فى ذلك)
(وطريق تأويله عند الحاجة اليه)

إعلم انه كما ورد فى الشريعة المحمدية ما يفيد وصف الله تعالى بصفات كمالية منها ما قامت الدلائل العقلية على ثبوته له تعالى ومنها ما ليس كذلك لكن لما أخبر به الرسول المبرهن على صدقه بالمعجزات ولا مانع عقلا يمنع من ثبوته له تعالى آمنا وصدقنا به وذلك مثل كونه تعالى قابل التوبة من عباده وانه يثيب الطائع و يعذب العاصى كذلك وقد ورد فى نصوص الشريعة الغراء نسبة أشياء لله تعالى توهم ظواهرها مماثلته ومشابهته للحوادث وسميت تلك النصوص بالمتشابهات والحال ان الدليل العقلى قد قام على وجوب مخالفته تعالى للحوادث واستحالة مماثلته لها وكذلك الدليل النقلى ورد بذلك قال الله تعالى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) فنعتقد فى تلك النصوص المتشابهات ان لها معانى صحيحة تليق به تعالى خالية عن استلزام مماثلته تعالى

للحوادث وليست هي المعاني المتبادرة من ظواهر تلك النصوص المستلزمة للمماثلة ونفوض علم حقيقة تلك المعاني الصحيحة اليه سبحانه فنكون بذلك الاعتقاد منزهين له تعالى عن مماثلة الحوادث ومفوضين له في علم ما أراد من تلك النصوص وهكذا كان اعتقاد السلف الصالح رضي الله عنهم لكن لما ظهر بعض الفرق المبتدعة وتمسكوا بظواهر تلك النصوص المتشابهات واعتقدوا المعاني المتبادرة منها المستلزمة لمماثلته تعالى للحوادث وخيف على اعتقاد بعض الضعفاء في الدين من سريان بدعتهم اليه تأول العلماء المتأخرون هذه النصوص المتشابهات تأويلات مناسبة موافقة للأدلة العقلية على ماذكر في كتب التفاسير وشروح الأحاديث وهم في تلك التأويلات عند التصدر لرد مذهب المبتدعة أو تثبيت عقيدة الضعفاء كأنهم يقولون مادامت تلك النصوص المتشابهات محتملة لمعان صحيحة مناسبة موافقة للأدلة العقلية جارية على قواعد اللغة العربية فبالحمل عليها احتمالا يحصل التوفيق بينها وبين الأدلة الدالة على وجوب مخالفته تعالى للحوادث واستحالة مماثلته تعالى لها ونسلم من اعتقاد ما ربما يخرج به المرء عن الايمان والعياذ بالله تعالى وبيان الطريقتين في ذلك انه قد ورد قوله تعالى في القرآن المجيد (الرحمن على العرش استوى) وقوله تعالى (ويبقى وجه ربك) وقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) وقوله تعالى (والسموات مطويات بيمينه) وقوله تعالى (وجاء ربك) الى غير ذلك

من الآيات وورد في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام رأيت ربي في أحسن صورة وقوله عليه الصلاة والسلام إن الجبار يضع قدمه في النار وقوله عليه الصلاة والسلام ينزل ربكم الى سماء الدنيا الى غير ذلك من الأحاديث فالطريق الاسلم الذي درج عليه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم أن نقول في هذه النصوص إن لها معاني غير ما يتبادر منها وهي صحيحة موافقة للأدلة العقلية والنقلية الدالة على وجوب مخالفته تعالى للحوادث وإنا نؤمن بها ونفوض معرفة حقيقتها الى علم الله تعالى وهذا القدر يكفي في صحة الايمان فاستواؤه تعالى على العرش هو صفة من صفاته تعالى اللائقة به ليس كاستواء الحادث المستلزم للجسمية والجهة والنزول الى سماء الدنيا صفة من صفاته تعالى اللائقة به ليس كنزول الحادث المستلزم الانتقال من حيز الى حيز والمجيء كذلك ونقول أيضا ان له تعالى يدا وعينا وقدما ليست كأعضائنا بل هي على ما تليق به سبحانه لا تستلزم التجزؤ والمقدار وهو سبحانه أعلم بحقيقة تلك المعاني التي أرادها من تلك النصوص وهكذا القول في كل نص متشابه واذا تصدينا لرد مذهب المبتدع المدعي مماثلته تعالى للحوادث تمسكا بظواهر هذه النصوص أو أردنا تثبيت عقيدة الضعفاء في الدين فنقول على طريق التأويل ان تلك النصوص تحتمل معاني غير ما يتبادر منها لا تستلزم مماثلته تعالى للحوادث وبالحمل عليها توافق الأدلة العقلية والنقلية الدالة على تنزيهه تعالى عن المماثلة ونأمن

بذلك من الخطأ في الاعتقاد الذى ربما يؤدى الى الكفر والعياذ بالله تعالى وبيان ذلك أنه يحتمل أن المراد من الاستواء على العرش هو الاستيلاء والقهر كما قال الشاعر العربى (قد استوى بشر على العراق) أى استولى والمراد بذلك بيان عظمته تعالى ونفوذ حكمه على كل شئ من هذا العالم. ويحتمل أن المراد بالنزول الى سماء الدنيا هو الاقبال على عباده وقد ورد فى اللغة العربية النزول بمعنى الاقبال فالمعنى أن الله تعالى يقبل على عباده فى ذلك الحين فعبر عن ذلك الاقبال بالنزول الى سماء الدنيا ويحتمل أن المراد بالمجىء هو الاقبال أيضا وان المراد وجاء أمر ربك وسلطانه ويحتمل أن المراد بالوجه الذات فانه يطلق ويراد به الذات وان المراد باليد واليمين القدرة وكل ذلك له شواهد من استعمالات اللغة العربية التى جاء القرآن والأحاديث النبوية بها وهكذا يجرى التأويل فى كل ماورد من المتشابهات. فليس شئ منها الا وقد وجد له العلماء تأويلا مناسبا موافقا للأدلة العقلية على قانون اللغة العربية وقد أفردوا لذلك كتبا تكفلت ببيان ذلك فعلى كل مكلف أن يؤمن بجميع ماورد من تلك النصوص المتشابهات ويعتقد أن لها معانى صحيحة لائقة بجنابه تعالى غير مستلزمة لمماثلته تعالى للحوادث. ويفوض معرفة حقيقتها المرادة منها الى علم الله واذا احتاج الى التأويل فى دفع مذهب مبتدع أو لرفع الوسوسة عن قلبه ولم يكن أهلا للتأويل. فليرجع الى العلماء الأعلام ويفهم منهم تأويل ما أراد تأويله ولا يستقل.

به وهو ليس أهلا له خشية أن يقع فى خطأ يدخله فى البدعة أو فى الكفر نسأل الله تعالى الحفظ والسلامة وليعلم أن النصوص المتشابهات التى مر الكلام عليها فى هذا الفصل هى الآيات القرآنية وأحاديث الرسول الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام وأما ما ينسبه الى الرسول عليه السلام بعض أهل الاخبار ولم يثبت عنه عليه الصلاة والسلام بنقل العدول فهذا وأمثاله لا يجب علينا التصديق به فضلا عن الاحتياج الى تأويله والله تعالى أعلم

﴿ الفصل السادس ﴾

(فى بيان ما يجوز فى حق الله تعالى وبيان مسائل)
(خالفنا فيها أهل البدع)

قد تقدم بيان ما يجب لله تعالى وما يستحيل عليه سبحانه فلنشرح الآن فى هذا الفصل ما يجوز فى حقه تعالى فنقول

يجوز فى حقه تعالى فعل كل جائز أو تركه مهما كان الجائز عظيما دقيق الصنعة فالله تعالى قادر على صنعه والدليل على ذلك من نصوص الشرع الشريف قوله تعالى (والله على كل شئ قدير) والدليل عليه عقلا أن الله تعالى تام القدرة كامل العلم وأن كل جائز هو قابل للوجود والعدم فيكون الله تعالى قادرا على ايجاده وإعدامه والذى يوضح جواز فعله

تعالى لكل جائز أو تركه مهما كان الجائز عظيما دقيقا مانشاهده فى هذا العالم من عظائم مصنوعاته تعالى وغرائب مبتدعاته فانه قد تصرف فيها بقدرته ايجادا و إعداما نعم قد جرت عادته تعالى بأن لا يوجد خوارق العادات أى الأمور العظيمة التى لم تجر العادة بوجودها الا على أيدى رسله عليهم الصلاة والسلام معجزة لهم وتصديقا لدعواهم الرسالة وعلى أيدى أوليائه كرامة لهم أو على أيدى بعض عباده معونة لهم أو استدراجا أو خذلانا كما سيأتى تفصيله وكل ذلك فى النادر

ومن الجائز فى حقه تعالى خلق الخير والشر ولا يكون ذلك منه قبيحا خلافا لبعض المبتدعة لانه تعالى فاعل مختار يتصرف فى ملكه كيف يشاء وربما يكون الشيء حسنا فى نفسه وان خفى علينا حسنه وعددناه شرا على أن الشر يكون شرا بالنسبة الينا ولذلك نؤاخذ بكسبه ومخالفة النهى عنه و يكون فعله مناقبحا وأما بالنسبة اليه تعالى فلا يقال ان الشيء الفلانى خير والشيء الفلانى شر لانه سبحانه لا ينتفع بشيء ولا يتضرر من شيء وأيضا أنه كثيرا ما يقع الشر فى الكون فلو كان بغير خلقه وارادته تعالى لزم أن يقع كثيرا فى ملكه ليس بخلقه ولا بارادته وهو عجز وقهر على منصب الالوهية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

ومن الجائز عليه تعالى ان يفعل غير الصالح وغير الأصلح فى حق عباده ولا يجب عليه ان يفعل ذلك فى حقهم خلافا لبعض المبتدعة لانه لو وجب عليه

تعالى فعل الصالح والأصلح لعباده لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا بالفقر وفي الآخرة بالعذاب الأليم لان الاصلح له عدم خلقه وان خلق فالاصلح له إماتته صغيرا أو سلبه عقله قبل بلوغ سن التكليف لكنه تعالى خلق ذلك الكافر ولم يفعل الاصلح في حقه فظهر انه تعالى لايجب عليه فعل الصالح والأصلح لعباده بل هو الفاعل المختار الذي يفعل مايشاء ويحكم بما يريد

ومن الجائز في حقه تعالى عقلا ان يعذب المطيع وينعم العاصي ولايقبح ذلك منه لانه مالك مطلق فاعل مختار ولانه ان أثابنا فبفضله وان عذبنا فبعدله ولا تأثير للطاعة في وجوب الثواب ولاتأثير للمعصية في وجوب العذاب لكن لما ورد في نصوص الشريعة المحمدية وعده سبحانه وتعالى للمطيع بالثواب ووعيده للعاصي بالعقاب صار واجبا شرعا ان لايتخلف وعده ولا وعيده لانه لو تخلف ذلك لزم الكذب والخلف في خبره تعالى وذلك محال. لكن الوعد بالثواب يجب شرعا أن لا يتخلف في حق أحد من المطيعين لانه نقص والنقص عليه تعالى محال وأما الوعيد بالعقاب فقد أخرج منه المؤمنون المغفور لهم بالدلائل الدالة على أن الله تعالى قد يغفر لبعض عباده الذنوب وأما الكفار فلا يتخلف الوعيد في حقهم للأدلة الشرعية الدالة على تحتم خلودهم في النار وأما المؤمنون غير المغفور لهم معاصيهم فلابد من نفوذ الوعيد في حقهم ولو بتعذيب واحد منهم لئلا يلزم الخلف في خبره تعالى.

ومن الجائز عليه تعالى عقلا أن ينظر بالأبصار لانه سبحانه وتعالى موجود وكل موجود يصح أن يرى فهو سبحانه يصح أن يرى لكن لم تقع رؤيته تعالى فى الدنيا لغير نبينا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم ورؤيته سبحانه فى الآخرة للمؤمنين واجبة شرعا باتفاق أهل السنة والجماعة لنص القرآن والاحاديث الشريفة ولاجماع الصحابة عليها لكن رؤيته تعالى بلا كيف و بلا انحصار ومعنى قولنا بلا كيف أنها بدون تكيفه سبحانه بكيفية من كيفيات الحوادث من نحو المقابلة للرائى والجهة والتحيز لان الرؤية قوة ادراكية يجعلها الله تعالى فى خلقه لا يشترط فيها عقلا مقابلة المرئى ولا كونه فى جهة وحيز ولا غير ذلك وإنما جعلت هذه شروطا عادية يجوز أن يخلق الله تعالى الرؤية بدونها ومعنى قولنا إن رؤيته تعالى بلا انحصار أى بدون انحصاره تعالى عند الرائى بحيث يحيط به لاستحالة الحدود والنهايات له تعالى ولا تخالف بين وجوب رؤية المؤمنين له تعالى و بين قوله فى القرآن الشريف لا تدركه الابصار لان معنى ادراك الابصار رؤيتها على وجه الاحاطة بحيث يكون المرئى متحيزا بحدود ونهايات وهذا لا نقول به لانه محال عليه تعالى وقد خالف فى جواز رؤيته تعالى بعض المبتدعة وتمسكوا بشبه مردودة عليهم فى الكتب المطولة

ومن الجائز عليه تعالى إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام للخلق فليس ارسالهم واجبا عليه تعالى ولا مستحيلا بل لطف منه تعالى واحسان ورحمة

بمحض الفضل لما في ارسالهم من الحكم والمصالح التي لا تحصى منها معاضدة العقل فيما يستقل بمعرفته مثل وجود الاله سبحانه وعلمه وقدرته ومنها استفادة الحكم فيما لا يستقل به العقل مثل المعاد الجسماني والحساب ومنها بيان حال الافعال التي تحسن تارة وتقبح أخرى من غير اهتداء العقل الى مواقعها ومنها بيان منافع الأغذية والادوية ومضارها التي لا تفي بها التجربة الا بعد أدوار وأطوار مع ما فيها من الاخطار ومنها تكميل النفوس البشرية بحسب استعداداتهم المختلفة في العلميات والعمليات ومنها تعليم الصنائع الخفية من الحاجيات والضروريات ومنها تعليمهم الاخلاق الفاضلة الراجعة الى الاشخاص والسياسيات الكاملة العائدة الى الجماعات في المنازل والمدن ومنها الاخبار بتفاصيل ثواب المطيع وعقاب العاصي ترغيبا في الحسنات وتحذيرا عن السيئات الى غير ذلك من العوائد ثم بعد اعتقادنا بجواز ارسالهم في حق الله تعالى وانه ليس بواجب عليه يجب علينا اعتقاد حصول ارسالهم من لدن آدم الى رسولنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين وسلم وسيأتي بيان كيفية تفصيل الايمان بهم عليهم الصلاة والسلام في الباب الثاني والله الموفق

﴿ الباب الثانى ﴾

« فى بيان الايمان بالرسل والانبياء والملائكة والكتب »
(واليوم الآخر وما يتبع ذلك وفيه خمسة فصول »

﴿ الفصل الاول ﴾

(فى بيان الايمان بالرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام)

اعلم أن الرسول هو انسان ذكر حر أوحى الله تعالى اليه بشرع وأمره بتبليغه للخلق وان لم يؤمر بالتبليغ يسمى نبيا فقط وقد تقدم ان ارسال الرسل من الجائز على الله تعالى ولكن قد حصل منه تعالى ارسالهم تفضلا على عباده لما فيه من الفوائد الكثيرة والايمان بالرسل هو أن نؤمن بأن الله تعالى أرسلهم مبشرين ومنذرين وأيدهم بالمعجزات الخارقة للعادات وان نؤمن بما يجب لهم وما يستحيل عليهم وما يجوز فى حقهم عليهم الصلاة والسلام فيجب لهم الامانة ويستحيل عليهم ضدها وهو الخيانة ويجب لهم الصدق ويستحيل عليهم ضده وهو الكذب ويجب لهم الفطانة ويستحيل عليهم ضدها وهو الغفلة وعدم الفطنة ويجب لهم تبليغ ما أمرهم الله تعالى بتبليغه للخلق ويستحيل عليهم ضده وهو كتمان ذلك ويجوز فى حقهم الاعراض البشرية التى لا تؤدى الى نقص فى مراتبهم العلية وكمال الايمان

بما ذكرنا أن يكون مقروناً بالدليل فنقول فى بيان ذلك

يجب للرسل عليهم الصلاة والسلام الأمانة وهى العصمة ومعناها حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمعصية ويستحيل عليهم ضد الامانة وهى الخيانة فهم محفوظون ظاهراً من الزنا وشرب الخمر والكذب وأمثال ذلك من المنهيات الظاهرة ومحفوظون باطناً من الحسد والكبر والرياء وأمثال ذلك من المنهيات الباطنة وما أوهم من النصوص الشرعية وقوع المعصية منهم فمؤول بتأويلات حسنة مذكورة فى كتب التفاسير وشروح الاحاديث النبوية فعلى المكلف اذا اشتبه بشيء من تلك النصوص فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام أن يرجع فى تأويله الى العلماء الاعلام ليفهم منهم تأويله ويكون اعتقاده موافقاً لاعتقاد أهل السنة والجماعة والدليل على وجوب الأمانة للرسل عليهم الصلاة والسلام واستحالة الخيانة عليهم أنهم لو خانوا بفعل معصية لكنا مأمورين به لانه تعالى أمرنا باتباعهم فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من غير تفصيل والله سبحانه وتعالى لا يأمر بالمعصية ويجب لهم عليهم الصلاة والسلام الصدق ويستحيل عليهم ضده وهو الكذب أما وجوب صدقهم واستحالة الكذب عليهم فيما يبلغونه عن الله تعالى فالدليل عليه أنه لو كذبوا فى ذلك للزم الكذب فى خبره تعالى لتصديقه لهم بالمعجزات وهى خوارق العادات التى يجريها الله تعالى على أيديهم تأييداً لهم لانها نازلة منزلة قوله سبحانه صدق عبدى فى كل ما يبلغ

عنى وتصديق الكاذب كذب وهو محال عليه تعالى فيكون كذبهم فيما يبلغون عنه تعالى محالا واذا استحال كذبهم فى ذلك وجب صدقهم فيه وهو المطلوب وأما وجوب صدقهم واستحالة الكذب عليهم فى غير ما يبلغونه عنه تعالى فالدليل عليه أنهم لو كذبوا لكان كذبهم خيانة تخالف وجوب الأمانة والعصمة لهم وقد تقدم الدليل على وجوب الأمانة لهم واستحالة الخيانة عليهم صلى الله تعالى وسلم عليهم أجمعين

ويجب لهم عليهم الصلاة والسلام الفطانة وهى التفطن والتيقظ ويستحيل عليهم ضدها وهو الغفلة وعدم اليقظة والدليل على ذلك انه لو لم يكونوا فطناء وكانوا مغفلين لما أمكنهم اقامة الحجة على أخصامهم والمجادلة معهم لاقناعهم بالحق وهذا يخالف منصبهم الذى أرسلوا به وهو هداية الخلق الى الحق فوجب بذلك لهم الفطانة واستحال عليهم ضدها وهو الغفلة وهو المطلوب

ويجب لهم عليهم الصلاة والسلام تبليغهم للخلق ما أمرهم الله تعالى بتبليغه ويستحيل عليهم ضده وهو كتمانهم شيأ من ذلك والدليل على ذلك أنهم لو كتموا شيأ مما أمروا بتبليغه للخلق لكنا مأمورين بكتمان العلم لأن الله تعالى أمرنا بالاقتداء بهم وكوننا مأمورين بكتمان العلم باطل فكتمانهم شيأ مما أمروا بتبليغه للخلق يكون باطلا فوجب لهم تبليغ ما أمروا بتبليغه واستحال عليهم كتمان شىء من ذلك وهو المطلوب

وأما الجائز فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام فهو سائر الأعراض

البشرية التى لا تؤدى الى نقص فى مراتبهم العلية وذلك كالأكل والشرب وجماع النساء فى الحلال والأمراض التى لا تخل بمنصب الرسالة ولا تكون منفرة للخلق عن الاجتماع بهم والأخذ عنهم والدليل على ذلك مشاهدة تلك الأعراض بهم وهى لا تخل بمنصب الرسالة وأما الأمراض التى تخل أو تنفر عنهم الخلق مثل الجنون والاغماء الطويل والجذام والبرص والعمى فهى ممتنعة عليهم ولم يثبت أن شعيبا كان أعمى وما كان بأيوب من البلاء فقد كان ألما تحت الجلد ليس منفرا وما اشتهر فى قصته من الحكايات المنفرة فهى باطلة

وأما السهو فممتنع عليهم فى الأخبار البلاغية أى التى يبلغونها للخلق نحو الجنة أعدت للمتقين وفى غير البلاغية أيضا نحو قام زيد وذهب عمر ولانه يورث الشبهة لبعض الضعفاء فى عموم أخبارهم وهو ينافى منصب الرسالة وأما السهو فى أفعالهم غير البلاغية والبلاغية كالسهو فى الصلاة فهو غير ممتنع عليهم وحكمته وقوعه منهم أن يرى الناس كيف يعملون عند حدوث السهو فى عباداتهم لأن دلالة الفعل أوضح من دلالة القول . وأما النسيان فهو ممتنع عليهم فى البلاغيات قولية كانت أو فعلية فالقولية نحو الجنة أعدت للمتقين والفعلية نحو صلاة الضحى اذا أمروا بفعلها ليقتدى الناس بهم فلا يجوز نسيان شىء من ذلك قبل تبليغ الأولى بالقول والثانية بالفعل وأما بعد التبليغ فيجوز نسيان ماذكر من جانب الله تعالى لحكمة يعلمها

وأما النسيان من جانب الشيطان فستحيل عليهم اذ ليس للشيطان عليهم سبيل و وسوسة الشيطان لآدم عليه السلام بتمثيل ظاهري والممتنع لعبه ببواطنهم والملخص أنه يجوز على ظواهرهم ما يجوز على بقية البشر مما لا يؤدي الى نقص واخلال بمنصب الرسالة وأما بواطنهم فنزهة محفوظة متعلقة بربهم وما يوهم خلاف هذا فقول يرجع في فهم تأويله الى العلماء الاعلام وليعلم ان جميع ماذكر في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام من الوجوب والاستحالة والجواز يلزمنا ان نعتقده في حق الأنبياء وهم الذين أوحى الله تعالى اليهم بشرع ولم يأمرهم بتبليغه للخلق لانه ربما ترجع اليهم الناس في الاستفتاء عن أحكام شرائع الرسل قبلهم ولانهم مأمورون أن يبلغوا الخلق أنهم أنبياء ليحترموهم ولانهم يعملون بما أوحي اليهم

ثم ليعلم انه يجب الايمان بجميع الأنبياء والرسل اجمالا بأن يؤمن المكلف بكل نبي و رسول الله تعالى و بما يجب لهم وما يستحيل وما يجوز والأولى ان لا يعين عددا مخصوصا لاختلاف الروايات في عددهم وقد قال تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) لكن يجب الايمان تفصيلا بالرسل الذين ذكرت أسماؤهم في القرآن الشريف وقد جمعنا أسماءهم الشريفة في هذه الأبيات

اسماء رسل الله في القرآن خمس وعشرون نخذ بيان

هم آدم ادريس نوح هود يونس الياس اليسع داود

اسحق ابراهيم لوط موسى ذوالكفل يحيي زكرياء يسى
شعيب ثم صالح أيوب هارون ثم يوسف يعقوب
ثم سليمان واسماعيل ﴿ محمد ﴾ ختمهم الجليل

﴿ الفصل الثانى ﴾

(فى شرح معجزات الرسل التى أيدهم الله تعالى بها وبيان
طريق وقوعها وإقامة الحجة بها)

علم أنه قد تقدم فى هذا الكتاب أن الجائز العقلى هو ما يقبل الثبوت والانتفاء وأن كل جائز فهو داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى مهما كان عظيما ودقيق الصنع وتوضح ذلك بعد ثبوت أن الخالق لهذه الكائنات هو الله تعالى ما نشاهده من أعماله فى هذه المصنوعات من العظمة والدقة والحكمة ولنشر الى تفصيل بعض ذلك فنقول . لننظر الى عالم الكواكب وما اشتمل عليه من العظمة والغرابة وعجيب الترتيب والانتظام كما يظهر من كتب علم الهيئة التى تكفلت بشرح حقيقة ذلك . ولننظر الى عالم الجويات وما احتوى عليه من الهواء والرياح والبروق والرعود والسحاب والأمطار والكائنات الجوية التى أفردت بالتأليف وصارت علما واسعا ولننظر الى الأرض وما اشتملت عليه من الجبال والأودية والكهوف والسهول والبحار والأنهار والينابيع والمعادن والكائنات الأرضية من

الزلازل والتغيرات العظيمة . ولننظر الى عالم المعادن ومافيها وما احتوى عليه من الأنواع المختلفه فى الألوان والطعوم والخواص والمنافع . ولننظر الى عالم النبات ومافيه من اختلاف الأشجار والأزهار والأثمار المتنوعة فى الألوان والروائح والطعوم والأشكال والأقدار والخواص والمنافع وغرائب توالده ونموه واقامته وسائر أحواله التى أفردت بالتأليف وأصبحت علما من أعظم العلوم . ولننظر الى عالم الحيوان ومايحويه من العظائم والغرائب فى اختلافه فى الصغر والكبر والقوة والضعف والذكاء والبلادة وتباين الأشكال والهيئات والاصناف ومافيه من عجيب التركيب وغريب التأليف ومافى اعضائه من إحكام الصنع و إتقان الوضع حتى وفى كل عضو بوظيفته واذا نظرنا فى أنفسنا وما اشتمل عليه الجسد الانسانى من غريب الصنع و بديع التركيب لأخذتنا الحيرة وأدركتنا الدهشة وفى الاطلاع على كتب التشريح الانسانى ومابينته من أعضاء الانسان ووظائفها وغرائب أبنيتها وتراكيبها وانتظاماتها ودقيق صنعها عبرة لأولى الأبصار ومن أغرب مافى الانسان حواسه من السمع والبصر والذوق والشم واللمس واغربها حاسة البصر وما احتوت عليه من باهر الصنع بوضع طبقات العين واشكالها وصفاتها وانتظامها و إحكامها على نواميس كونية حتى وفت بوظيفة الابصار التى تحتار فى كيفية الافكار وتالله إن العلوم التى تكفلت بالكلام على هذه العوالم وشرح حقائقها وأحوالها وان تكن قد جاءت بكثير من

عجائبهامما الاطلاع عليها يربى الايمان فى القلوب لمن وفقه الله تعالى و يشهد لصانعها بعظيم القدرة وكمال العلم والحكمة لكن ماانطوى علمه من عجائبها ودقائق حكمها واسرارها هو بحر عجاج لاتدركه العقول ولاتفى بالاحاطة به الروايات والنقول فسبحان من كانت هذه الكائنات بارادته وقدرته وتدبيره وحكمته فبعد التأمل فى حدوث هذه الموجودات وانه لابد لها من صانع هو رب الارض والسموات نعلم قطعا ان كل جائز عقلا مهما كان عظيما جسيما وغريبا عجيبا فهو داخل تحت تصرف قدرة هذا الآله القادر العليم الحكيم ولكن وجدنا أنه سبحانه قد وضع فى تكوين هذه الكائنات وتصوير تلك العوالم أسبابا وقوانين جرت عادته تعالى فى إحداث هذه الحوادث عندها فجعل مثلا حدوث النبات بواسطة التراب والماء والحرارة وحدوث الحيوان بواسطة انتقال مادته الاصلية من الذكر الى الانثى وتنميته فى جوف الانثى بوسائط شتى مع مرور زمن مخصوص على كل من هذين التكوينين ولكن لدى تدقيق النظر والبحث فى الادلة العقلية وملاحظة عظيم قدرته سبحانه وكمال علمه وتدبر عجائب صنعه ظهر لنا معشر أهل السنة والجماعة أن جميع تلك الاسباب والقوانين التى وضعها الله سبحانه وجرت عادته فى إحداث الحوادث عندها ماهى الاعادية بمعنى أن عادته تعالى جرت باحداث الحوادث عندها لابتأثيرها وان الزمن الذى خصص لتكونها وحدوثها ماهو الاعادى أيضا وهو سبحانه وتعالى قادر

على إحداث تلك الحوادث بدون تلك الاسباب والقوانين و بدون مرور ذلك الزمن الذى يكون ظرفا التكونها وحدوثها و يظهر ذلك لمن تأمل أن التراب والماء والحرارة لا يظهر فيها أدنى داع لان تصور أنواع النباتات كل نوع منها على لون وطعم و رائحة وشكل خاص وليس عندها قدرة وعلم وارادة تؤهلها التصرف فى أنواع النباتات ذلك التصرف العجيب الغريب وأيضا انا نجد بعض أنواع النبات مشتملا على دقائق من الصنعة وغرائب من الوضع قد يحدث فى زمن قصير جدا ونجد نوعا آخر بسيط التكوين ليس فيه تلك الدقائق ولا يحتوى على تلك الغرائب قد يحدث فى زمن طويل ممتد وهذا تنبيه من الحق تعالى على أن الزمن ليس شرطا متوقفا عليه التكوين توقفا لازما عقلا بل ان ذلك الزمن لم يجعل ظرفا للتكوين الاعادة جرت للحق تعالى من غير احتياج اليه والا فلو احتيج اليه لكان الشئ الاغرب فى الصنعة أطول زمنا من الشئ الذى يكون دونه فى الغرابة و بما تقرر ظهر أن الله تعالى الذى أحدث هذه الكائنات قادر على إحداثها بدون تلك الشروط والاسباب والأزمنة الموضوعة لتكونها فيجوز أن يوجد الله تعالى نباتا فى لحظة طرف أو أقل بدون تلك الأسباب التى جرت عادته أن يحدث النبات عندها وقادر على إيجاد حيوان كذلك وعلى قلب الجماد نباتا أو حيوانا فى لمحة طرف و إحداث أعظم من ذلك من خوارق العادات ولكن ذلك منه سبحانه لم يكن مطردا

بل قد يجريه على يد رسول من رسله معجزة مصدقة له بدعوى الرسالة كما
قلب عصا سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ثعبانا ثم أعادها عصا فى زمن
يسير وهكذا توجيه جميع خوارق العادات التى نقل لنا وقوعها معجزات
للرسل عليهم الصلاة والسلام جرت على أيديهم تصديقا لهم مثل انفلاق البحر
وانشقاق القمر وكلام الجماوات ومجىء عرش بلقيس فى لمحة طرف
وبعد ذلك كله فانك ترى بعض من استولت الغفلة على قلوبهم قد سترت
عنهم عظمة مصنوعات الله تعالى المعتادة لديهم وغرابتها لكثرة مشاهدتهم
لها ويعجبون من حدوث شىء نادر الوقوع لم تجر العادة فى بروزه لدى
حواسهم وربما يكون هذا الشىء فى العظمة ودقة الصنعة دون ما جرت
العادة بحصوله وألفته أنفسهم وما ذلك الا لعدم اعتيادهم على مشاهدة ما ندر
وقوعه حتى ربما كذبوا من يخبرهم به أشد التكذيب وان كان ثقة
عندهم مثلا تراهم يعلمون أن التراب ينقلب نباتا ثم غذاء ثم دما ثم نطفة ثم
بعد انتقاله لرحم الأنثى ينقلب علقة ثم قطعة لحم ثم تتصور حيوانا سميعا بصيرا
شاما ذائقا لامسا ثم يخرج من بطن الأنثى ضعيف العقل والقوى ثم يصير
قويا صلبا ولبيبا حاذقا وعالما مدققا ويقول أنا وأنا وما جسده الا قبضة تراب
وسيعود كما كان ومع ذلك لا يعجبون من جميع ما جرى فى هذه التحولات
والأطوار واذا أخبرهم مخبر أن فلانا الرجل الصالح قد شفى الله تعالى فلانا
المبتلى بالبرص على يديه بمجرد أنه لمسه ودعا له تجدهم قد عدوا ذلك من المحال

وحسبوا الخبر به من خرافات الاقوال ولو كان المخبر من أصدق الرجال. والحال أن شفاء ذلك الابرص على ذلك الوجه ليس بأعظم من تكون الانسان بتلك الاطوار العجيبة بل دونه في العظمة بكثير وليس الفرق بين الامرين الا أن الاول قد جرت به العادة والثاني ليس كذلك ولكن مادمنا نعتقد أن الموجد لكلا الامرين هو الله القادر العليم الفاعل المختار فأي داع يدعو للاذعان بالاول والانكار للثاني نعم لو أن الدعوى ان ذلك الرجل الصالح قد أوجد شفاء الابرص بقدرته كان للانكار وجه وذلك لعدم صلاحية قدرته لاحداث هذا الشفاء ولكن الدعوى ان الله تعالى قد شفى الابرص على يديه كرامة أكرمه بها فلا وجه للانكار مادام المخبر صادقا موثوقا به ونسب ذلك التأثير لله تعالى الذي هو قادر على كل جائز وهذا الامر كان من الجائزات اذا احتطت علما بجميع ما قررناه فاعلم أن الله تعالى لما أرسل الرسل للخلق أيدهم بالمعجزات لتكون دليل صدقهم في دعواهم الرسالة والمعجزة هي أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعي الرسالة من الله تعالى فالرسول عندما يدعو القوم الذين أرسل اليهم الى تصديقه وامتثال الشرع الذي يبلغهم اياه عن الله تعالى لابد أنهم يريدون منه دليلا على صدق دعواه فيقترحون عليه خرق العادة في الأمر الفلاني والامر الفلاني من نحو انشقاق القمر وخروج ناقة من الصخر وغير ذلك فالله سبحانه وتعالى يخرق العادة على يد ذلك الرسول ويوجد ما اقترحه عليه

أولئك القوم وحينئذ يظهر لهم صدقه في دعواه ويؤمنون به وبما جاء به من عند الله تعالى لانهم يلزمهم أن يقولوا حينئذ في الاستدلال إن هذا الأمر الخارق للعادة لا يقدر على ابرازه للوجود الا الاله القادر عليه ولولا أن ذلك الرجل المدعى الرسالة صادق لما أبرز الله تعالى على يديه ذلك الامر الغريب فابرازه على يديه هو تصديق له من جانب الله تعالى بلا ريب فالمعجزة تكون في حق ذلك الرسول وفي حق قومه بمنزلة قول الله تعالى صدق عبدى في كل مايبلغه عني ونظير ذلك في رجل ادعى في حضرة ملك أنه سفير بينه وبين رعيته الحاضرين في حضرة الملك وعليهم أن يصدقوه فيما يبلغهم عن ملكهم فطلب منه أولئك الرعايا مايدل على تصديق الملك له في تلك الدعوى فقال إن علامة تصديق الملك لى في ذلك انه يقوم الآن عن كرسيه ويخطو سبع خطوات ويفعل ذلك ثلاث مرات على خلاف عادته فمجرد سماع الملك ذلك قام عن كرسيه وفعل مثل ماقال الرجل فلا شك أن القوم الحاضرين يجزمون حينئذ بصدق ذلك الرجل ويعدون قيام الملك بتلك الكيفية تصديقا له فيعتقدون جميع مايبلغهم ذلك الرجل عن ملكهم ومن يقل بخلاف هذا فهو من الحق بمكان أو مكبل بقيود العناد والخسران واذا بلغنا الى ههنا فنقول

إن المعجزات التي أظهرها الله تعالى على أيدى الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام هي كثيرة جدا فلنذكر منها مااشتهر وذكر في القرآن المجيد أو في

صحيح الأحاديث النبوية ونشرح

توجيه حصول تلك المعجزات على قانون العقل السليم حتى تندفع شبه المبطلين المنكرين لها من أهل الضلال و يزداد بذلك يقين أهل الحق وعصابة الايمان ولكن بعد أن نتكلم على أشهر المعجزات المذكورة فى القرآن لبعض الرسل نفرد فصلا لمعجزات نبينا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم ونتكلم على بعض الطرق التى أوصلت اتباعه الى الحظوة بتصديقه واتباع طريقه فنقول

من المعجزات التى ذكرت فى القرآن الشريف معجزة سيدنا موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بانفلاق البحر حين ضربه بعصاه حتى مر بنو اسرائيل فيه ونجوا من فرعون ثم أهلك الله تعالى فرعون وقومه بانطباق البحر عليهم عندما أرادوا لحوق موسى وقومه فاعلم ان من بلغه خبر هذه المعجزة إن كان منكر الوجود إله العالم والعياذ بالله تعالى فهذا يكون الصواب فى حقه أن تقام له الدلائل على اثبات وجوده تعالى واثبات صفاته الجليلة ثم بعد ذلك يبين له حال المعجزات وان كان مؤمنا بوجود الخالق سبحانه فتى تصور عظمة قدرته وتأمل فى عظائم أعماله وتدور أن انفلاق البحر ماهو الا جائز عقلى من جملة الجائزات الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى لأن العقل يحكم بقبوله للثبوت والانتفاء ولا يلزم من ثبوته محال فلا مانع يمنعه من التصديق بذلك ومما يوضح جواز انفلاق البحر أن الماء قابل

للانقسام كبقية الأجسام وقابل للتماسك كما يشاهد تماسكه بالجمود بالبرد مثلما يرى في الأنهر العظيمة التي تجمد أيام البرد وتمر عليها الحيوانات وان كان انفلاق وتماسك ماء البحر بتلك السرعة حتى مر بنو اسرائيل بين قطعه ثم رجوعه الى السيلان سريعا حتى غرق فيه فرعون وقومه أمور اعظيمة تحتاج الى قدرة تامة فالله سبحانه وتعالى تام القدرة فلا يعجزه ذلك فنحن معشر المسلمين لما أخبرنا بهذه المعجزة القرآن الكريم على لسان رسول الله سيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم الذي ثبت صدقه لدينا بالبراهين العديدة وهي من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى التامة آمنا وصدقنا بذلك من دون شك ولا ريب وكل منصف اذا تأملها لا يجدها من المحالات والله قادر على إحداثها تأييدا لرسوله وحفظا لعباده المؤمنين وإهلا كالأعدائه الكافرين

ومن المعجزات التي ذكرت في القرآن المجيد أيضا لسيدنا موسى عليه السلام نبع الماء من الحجر عند ماضربه بعصاه بأمر الله تعالى فقيل كان حجرا مخصوصا وقيل المراد أي حجر كان وهنا يقال أيضا أن من بلغه خبر هذه المعجزة ان كان منكرا للخالق تعالى فقد ذكرنا ماهو الصواب في حقه وان كان مؤمنا بوجود الخالق تعالى وتمام قدرته وعظيم أعماله فيكفيه لتصديق هذا الأمر أن يتصور أن نبع الماء من الحجر له طريقان جائزان الأول أن الله تعالى يخلق ويبرز من العدم مقدارا من الماء يكفي بني

اسرائيل ثم يجعل سبيل بروزه فى مشاهدتهم من الحجر عند مايضرب به موسى والثانى أن يحول الله تعالى الهواء ماء ويجعل سبيل بروزه فى المشاهدة أيضا من الحجر وتحول الهواء ماء وعكسه هو من الأمور الجائزة التى دخلت تحت تصرف قدرة الكيماويين كما يعلم من فن الكيمياء وفى هذا العام قدروا ان يحولوا الهواء سائلا من السائلات فما بالك بقدرة من خلق الكيماويين وجميع أعمالهم فنحن معشر المسلمين لما أخبرنا بذلك الصادق ورأينا أن ذلك من الجائزات الداخلة تحت تصرف القادر سبحانه آمنا وصدقنا به وبأن الله تعالى أوجده معجزة لسيدنا موسى عليه السلام وابقاء لحياة عباده بنى اسرائيل الذين أعوزهم الماء فى التيه

ومن معجزات سيدنا موسى عليه السلام المذكورة فى القرآن الشريف انقلاب عصاه ثعبانا كبيرا ابتلع الحبال والعصى الكثيرة التى سحرتها سحرة فرعون وخيلتها للناس حيات فهذه المعجزة أيضا يقال فيها إن السامع بها ن لم يكن مؤمنا بالخالق تعالى وبعظيم قدرته فقد تقدم ماهو الصواب فى حقه وان كان مؤمنا بالخالق تعالى فيكفيه لتجويز وقوع هذه المعجزة تصوره أن مصنوعاته تعالى العظيمة من عوالم النبات والحيوان كلها حدثت بقدرته وتكوينه وقد حول موادها من صورة الى صورة فقلب التراب نباتا والنبات حيوانا وأن الاسباب التى جعلها فى هذا الكون لحدوث هذه الكائنات والأزمنة التى جعلها ظروفا لحدوثها ماهى الاعادية والله تعالى قادر

على تلك الأعمال بدون تلك الأسباب و بدون تلك الازمنة وأن الله تعالى قادر على إعدام الاجسام أو تفريقها هباء لا تدركه الأبصار فنحن معشر الامة المحمدية لما أخبرنا الصادق بحصول تلك المعجزة لسيدنا موسى عليه السلام ونحن نعتقد بكمال قدرة الله تعالى عليها وعلى أعظم منها من الجائزات آمنا وصدقنا بها وقلنا لا مانع من أن الله تعالى قلب تلك العصا التي هي جسم نباتي ثعبانا عظيما وكبر جسمه بضم بعض الاجسام الارضية اليه و بعد أن ابتلع الحبال والعصى أعاده عصا بقدر ما كانت وأفنى الاجسام التي زادها في تكبيره واجسام الحبال والعصى التي ابتلعها أو فرق جميع ذلك وصيره هباء لا يرى وكل ذلك أوجده الله تعالى بدون الاسباب والازمنة العادية التي شرعها في الكون لذلك الصنع اذ هو قادر على ذلك وكان خرق العادة في هذا الحال معجزة دالة على صدق رسوله موسى عليه الصلاة والسلام

ومن معجزات سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام التي أخبر بها القرآن المجيد رفع الطور وهو الجبل فوق بني اسرائيل حتى قبلوا الميثاق وهذه المعجزة يسلم بجواز وقوعها من يؤمن بوجود الاله القادر و يتأمل في أعماله العجيبة وأنه كم رفع من اجرام عظيمة جدا وأقامها في الفراغ وان قيل على مذهب المتأخرين من الفلكيين أن تلك الاجرام قائمة في الفراغ بناموس الجاذبية قلنا إن من أوجد ذلك الناموس هو قادر على احداث ناموس نظيره لرفع الطور على أن الاسباب التي وضعها سبحانه وتعالى في هذا الكون ماهي

الاعادية على ماتقدم بيانه فهو قادر سبحانه على إيجاد هذه الكائنات بدون
وجود أسبابها فنحن معشر المصدقين بالقرآن الكريم قد أخبرنا بهذه
المعجزة الصادق وهي من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف القادر
الذي نؤمن بوجوده وبكمال قدرته فنؤمن ونصدق بحصولها بقدرة الله تعالى
معجزة لسيدنا موسى عليه السلام وترهيبا لبني اسرائيل حتى قبلوا الميثاق
ومن معجزات سيدنا موسى عليه السلام ارسال الجراد والقمل والضفادع
والدم على قوم فرعون وانزال المن والسلوى على بني اسرائيل في التيه
وهذه الاشياء يؤمن بجواز وقوعها من يؤمن بالله تعالى القادر على هذه
الامور وأعظم منها وتوضيح جوازها أنه يشاهد الى الآن في هذا الكون
ارسال الجراد وغيره من الحيوانات المؤذية كالديدان والفيران على زرع
قوم دون قوم ويشاهد أن بعض الأقاليم يفسد ماؤها ويورث شربه
أمراضا لاهلها وبعد البحث عن سببه يظهر أنه قد تولد في ذلك الماء حيوانات
صغيرة جدا لاتدرك الا بالمكبرات ولعل الدم كان من هذا القبيل ويشاهد
أيضا أنه قد يقع عوض المطر أشياء لم يعتد وقوعها ويعلل وقوعها أهل البحث
بأن ريحا نقلتها من مكان آخر وأنزلتها على آخرين فادام الحال أن جميع
تلك الاشياء من الجائزات عقلا المشاهد نظيرها في أيامنا فما المانع من أن الاله
سبحانه أوجدها على يد موسى عليه السلام معجزة له وترهيبا للقبط أعدائه
ورزقا لبني اسرائيل الذين كانوا في التيه يعوزهم القوت فتفضل عليهم

تعالى بالمن والسلوى فنحن معشر المسلمين نؤمن بحصول جميع تلك الجائزات على يد موسى عليه السلام بخلق الله تعالى معجزة له كما أخبرنا بذلك الصادق.

ومن المعجزات التى ذكرها القرآن الشريف خروج ناقة من صخرة على يد سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام عند ما طلب منه قومه ذلك حتى يؤمنوا به فمن يسمع هذا الخبر ويكون مصدقا بوجود الاله القادر يكفيه للتصديق بجواز ذلك أن يتصور عجائب صنعه تعالى وأنه قادر على قلب التراب حيوانا وتحويل المواد الى صور مختلفة اذ لا مانع من أن الله تعالى صور قطعة من نفس مادة تلك الصخرة من باطنها بصورة ناقة وقلبها للحيوانية بصورة النياق وجعلها حية حساسة ثم فلق الصخرة عنها وأخرجها للقوم صالح معجزة له عليه السلام فان الاسباب والأزمنة التى جعلها عادته سبحانه فى تكوين الحيوانات ماهى الاعادية وهو قادر على إيجاد الحيوانات بدونها وكم يوجد فى باطن الصخور حيوانات مثل الدود لا يدرى الباحثون كيف تخلقت داخل الصخر ويوجد حولها نباتات دقيق مثل العفن الذى يظهر على الحيطان الرطبة تتغذى به وكلما رعته نبت غيره وقد شوهد ذلك ونقله الثقاة فادام هذا جائزا فى مثل هذه الحيوانات فهو جائز فى مثل الناقة اذ لا فرق الا بالكبر والصغر وهو لا يفيد الاستحالة فى الكبير دون الصغير فنحن معشر المؤمنين نعتقد بحصول تلك المعجزة لانها من الجائزات الداخلة

تحت تصرف قدرة الله تعالى وقد أخبر بها الصادق فهي حق وصدق بلا ريب ومن المعجزات التي أخبر بها القرآن المجيد عدم احتراق سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالنار العظيمة التي ألقاه فيها الملك الكافر الذي حاجه ابراهيم عليه السلام فمن يكن مؤمنا بوجود الاله القادر و يعتقد أن النار لاتحرق بطبعها ولا بقوة أودعت فيها بل احراقها هو بخلق الله تعالى وعدم احراقها من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف الاله سبحانه وان كان ذلك خلاف العادة فلا مانع يمنعه من تجويز وقوع هذه المعجزة ومن ينكر وجود الخالق تعالى ويعتقد أن النار تحرق بطبعها فهذا يكون الصواب في حقه أن يقدم له أولا الدلائل الدالة على وجود الاله سبحانه وعلى قدرته على كل الجائزات و يوضح له أن النار ليست محرقة بطبعها بل بخلق الله تعالى الاحراق عندما تمس شيئا قابلا للاحتراق اذلا موجد في نفس حقيقتها يقتضي أن تحرق الاجسام لانه ان قيل إن موجب احراقها هو النور الذي فيها وهو مولد الحرارة المحرقة قلنا هذا نور الحباحب وهو الحيوان الصغير الذي يوجد في الليل على النباتات وفي مؤخره نور يسطع والمادة التي ينبعث منها ذلك النور مادة حيوانية فصفورية لاحرارة فيها ولا احراق وكذلك كثير من المواد الفصفورية كما يعلم من فن الكيمياء وان قيل ان موجب الاحراق في النار هو اتحاد العناصر الذي تتكون النار بسببه على زعم الكيماويين المتأخرين قلنا نطلب البيان الكافي لم كان هذا الاتحاد

موجبا للاحراق دون جميع الاتحادات التي تحصل بين العناصر والاجسام الكيماوية كما يعلم من فن الكيمياء وان قيل أن موجب الاحراق هو الحركة المخصوصة للاجزاء الفردة للجسم مع الاجزاء الفردة للاكسجين أحد جزئي الهواء كما يقول أيضا المتأخرون من الكيماويين قلنا نطلب التوضيح الشافي لم كانت هذه الحركة موجبة للاحراق دون جميع الحركات التي تحصل بين أجزاء الاجسام المتحدة على قول أولئك الكيماويين ولم لم تكن حركة أجزاء الجسم الذي تنشأ عنه البرودة المفرطة حتى يجمد بها الماء موجبة للاحراق ولم خصت الحركة الأولى بالحرارة والاحراق والحركة الثانية بالبرودة والتجميد فبهذا يظهر أن الخصم لا يسعه الا أن يقول لا أدري الا أن كلا قد خص بما ينشأ عنه ولا بد من مخصص فنقول له نحن نعلم ذلك المخصص هو الله تعالى الذي خص ماشاء بما شاء فاحراق النار ليس الا بخلقه وايجاده وليس في النار شيء يقتضي أن يؤثر بالاحراق ولا بسواه بل هي مسخرة تحت تصرفه سبحانه وتعالى ان شاء أنشأ عنها الاحراق والاعدام وان شاء أنشأ عنها البرودة والسلام نعم قد جرت عادته سبحانه في هذا الكون أنه جعلها محرقة بخلقه وإيجاده فاذا أراد خرق العادة بعدم خلق الاحراق فيها فلا مانع يمنعه ولا حجر عليه وقد أشار سبحانه الى خرق العادة فيها معجزة لسيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام بما تلاه علينا في القرآن المجيد من قوله في خطاب النار (يانار كوني برداً وسلاماً على

ابراهيم) وهذا كناية عن أنه تعالى لم يخلق فيها الحرارة والاحراق بل خلق ضد الحرارة فيها وهو البرودة وجعلها سلاما وأمانا لا برودة مهلكة فنحن معشر المؤمنين لما أخبرنا الصادق المصدوق بهذه المعجزة آمنا وصدقنا بحصولها ولا مانع يمنع من تصديقها وهى من جملة الجائزات الداخلة تحت تصرف خالق الارض والسموات

ومن المعجزات التى ذكرت فى القرآن الشريف ماجرى على يد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام من شفاء الابرص والاكمه واحياء الموتى باذن الله تعالى فمن كان مؤمنا بآله العالم سبحانه وتصور عجائب أعماله من تحويل التراب الى حيوانات متنوعة لا يمتنع من تجويز احياء الموتى بقدرته تعالى وشفاء المرضى وابراء الاكمه معجزة لسيدنا عيسى عليه السلام فان هذه المذكورات من الجائزات العقلية وهى فى نظر العقل أسهل من خلق الحيوان من التراب وإبرازه سميعا بصيرا وان كان كلا الامرين لدى قدرة الله تعالى على حد سواء اذ لا يقال فى حقه تعالى إن الشئ الفلانى سهل والشئ الفلانى أسهل عليه بل الجميع تحت تصرفه بالسوية والوسائط التى جعلت أسبابا فى حدوث مثل هذه المذكورات ماهى الاعادية وكذلك الزمان الذى جعل ظرفا لحدوثها والله تعالى قادر على خرق العادة وايجاد هذه الامور بدون تلك الاسباب والزمان كما مر بيانه فنحن معشر الموحدين قد أخبر الصادق بهذه المعجزات وحصولها على يد سيدنا عيسى عليه الصلاة

والسلام فآمنا بها وصدقنا

ومن المعجزات التي ذكرها القرآن الكريم وجرت على يد سيدنا عيسى عليه السلام أيضا تصويره من الطين كهيئة الطير ونفخه فيه فيصير طيرا باذن الله تعالى فادمنا نعتقد أن الله تعالى هو الذي خلق جميع هذه الحيوانات الموجودة في الدنيا على تنوع أنواعها من التراب وأن الاسباب التي وضعها لتكونها والزمن الذي جعله ظرفا لتصورها كل ذلك أمر عادي والله تعالى قادر على ايجاد ذلك بدون تلك الاسباب وذلك الزمان فلا مانع يمنعنا من تجويز وقوع تلك المعجزة الخارقة على يد سيدنا عيسى عليه السلام بخلق الله تعالى كما قال سيدنا عيسى عليه السلام باذن الله وحيث قد أخبرنا بذلك الصادق المصدوق فقد آمنا وصدقنا بحصوله معجزة مؤيدة لدعوى ذلك الرسول الكريم

ومن المعجزات التي أخبر بها القرآن الشريف وجرت على يد سيدنا عيسى عليه السلام نزول مائدة من السماء ليأكل منها أصحابه الحواريون رضي الله تعالى عنهم وذلك أمر جائز اذ لا مانع يمنع العقل من التصديق بنزول أي جسم كان من جهة السماء كما ترى الامطار وبعض أجسام أخرى تخبر بها علماء الارصاد وما دمنا نعتقد بقدرة الله تعالى على خلق جميع الاجسام فالله سبحانه وتعالى قادر على خرق العادة وخلق المائدة وانزالها من السماء على سيدنا عيسى عليه السلام وأصحابه معجزة له وتأييدا لدعواه ونحن آمنا

بوقوعها الاخبار الصادق بها

ومن المعجزات المذكورة فى القرآن الكريم تسخير الشياطين والريح لسليمان وإلانة الحديد لداود عليهما الصلاة والسلام فكل ذلك من الجائزات العقلية التى لا يحكم العقل باستحالتها داخلة تحت تصرف الا له القادر فالشياطين من جملة عبيد الله تعالى قابلون للتسخير مقهورون تحت أمر خالقهم سبحانه والريح انما تسييرها وتصريفها فى الأكوان بقدرته عز وجل والحديد معدن قابل للا لانة وان جرت عادة الله تعالى فى إلانته بسبب الحرارة ولكن ذلك سبب عادى والله قادر على إلانته بدون ذلك السبب فلا مانع من إيجاد الله تعالى لهذه الخوارق على يد هذين الرسولين الكريمين معجزة لهما وتأييد الدعواهما الرسالة ونحن معشر أهل الايمان المصدقين بقدرة الله تعالى العظيم الشأن وبجواز هذه الحادثات وبصدق القرآن المجيد قد آمنا وصدقنا بحصولها بدون شك ولا ريب وهى بالنسبة لأعمال الله تعالى المشتملة على أعجب العجائب وأغرب الغرائب لا يستبعد العقل السليم منها شيأ والله الهادى الى سواء السبيل

وبقيت معجزات للرسل عليهم الصلاة والسلام سنذكر بعضا من مشهورها فى الفصل الآتى لمناسبة بينها وبين معجزات سيدنا ﴿ محمد ﴾ عليه وعليهم الصلاة والسلام

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في بيان معجزات نبينا سيدنا ﴿ محمد ﴾ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و بيان بعض الطرق التي كانت برهانا على صدق دعواه)

من أعظم المعجزات التي جاء بها سيدنا ﴿ محمد ﴾ عليه الصلاة والسلام القرآن الشريف فهو المعجزة الباقية الى انقضاء الدنيا بخلاف بقية المعجزات فان كلا منها قد انقضى بحينه ولنشرح هذه المعجزة العظيمة والخارقة الجسيمة على وجه يفهمه الخاص والعام ولا يعتريه شبهة لدى الأفهام فاعلم أن من حكمة الله تعالى البالغة أنه قد يؤيد رسله بمعجزات من قبيل ما فاق و برع فيه القوم المرسل اليهم حتى تنقطع حجتهم عن رسولهم بأنا نجهل جنس ما جئت به من خارق العادة فلعلك تعلم طريقا في ايجاده لا نعلمها نحن ولا يكون في الحقيقة لا أمرا معتادا مثلا عندما أرسل الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام كان فن السحر شائعا في القبط قوم فرعون ولهم فيه المهارة التامة و يعلمون ما هو الممكن للبشر معرفته وصنعه منه وما لا يكون في طوقهم فلما سحر السحرة منهم الحبال والعصي بأمر فرعون وصارت ترى حيات تسعى ألقى سيدنا موسى عليه السلام عصاه باذن الله تعالى فقلبها الله تعالى ثعبانا عظيما فابتلعت تلك الحيات الكثيرة ثم لما أخذها بيده

عادت عصا كما كانت نفر السحرة ساجدين لله تعالى وآمنوا برسالة موسى وصبروا على تعذيب فرعون لهم وقتلهم بالصلب فى جذوع النخل وماذلك الا أنهم لمعرفتهم فن السحر وعلمهم بمقدار مايدخل منه فى طوق البشر ومالا يدخل أيقنوا أن تلك الخارقة وهى انقلاب العصا ثعبانا كبيرا ابتلع الكثير من الحبال والعصى المسحورة على صورة الحيات ثم عاد عصا كما كان وتلك الحبال والعصى عدمت وتلاشت من الوجود ماهى من نوع السحر وليس فى طوق البشر الوصول الى هذه الدرجة منه فآمنوا بأنها من خوارق العادات التى لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسموات أوجدها معجزة لموسى مؤيدة لدعواه الرسالة ومن لم يكن من أهل المعرفة فى فن السحر يمكنه الاستدلال على صدق سيدنا موسى عليه السلام بسبب تصديق أولئك السحرة له بأن يقول إن هؤلاء السحرة لا شك أنهم متمسكون بدين آبائهم وأجدادهم ومتعززون بسلطنة فرعون ويخافون من مخالفته الهلاك ثم لهم الدراية فى فن السحر وبمقدار مايدخل فى طوق البشر منه ومالا يدخل فلولا أنهم علموا يقينا أن تلك الخارقة التى ظهرت على يد موسى ليست من نوع السحر ولا يدخل فى طوق البشر الوصول اليها لما آمنوا بموسى وتركوا دينهم ودين آبائهم وزهدوا فى عزة فرعون ورضوا بالتعذيب والصلب فى جذوع النخل فقالوا لفرعون (فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا) فايمانهم بموسى مع ذلك كله أعظم دليل على صدقه بدعوى

الرسالة وأن تلك الخارقة أظهرها الله تعالى على يده معجزة شاهدة بصدقه وأما من لم يرد الله تعالى فيه خيرا كما وقع لفرعون فانه ضل عن هذا الاستدلال واتبع طريق الشبهة وقال للسحرة انه يعني موسى (كبيركم الذي علمكم السحر) وهي شبهة باطلة إذ لا يخفى أن موسى من بني اسرائيل الذين كانوا مستعبدين للاقباط قوم السحرة أصحاب السلطنة والملك فلا داعي يدعو أولئك السحرة الى مخالفة فرعون باتباع موسى ولو فرض انه هو هو الذي علمهم السحر كما قال فرعون أيصدق العقل انهم يقدمون على ذلك لمجرد تعلمهم منه و يقبلون الذلة بعد العز والقتل والصلب عوض الحياة وهم عقلاء يميزون الخير من الشر فلولا اعتقادهم الجازم بأن تلك المعجزة ليست من نوع السحر وهي دالة على صدق موسى في دعوى الرسالة وانهم وان فارقوا عز الدنيا وعدموا حياتها الفانية فسيعوضون بعز الآخرة وحياتها الأبدية لما أقدموا ذلك الاقدام وقبلوا ما قبلوا فشبهة فرعون أضعف من بيت العنكبوت وقد جاء بها اما تكبرا وعنادا و إما جهلا وشقاء وكذلك لما بعث الله تعالى سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام كان فن الطب شائعا في بني اسرائيل فكان من حكمته تعالى أن جعل الكثير من معجزاته عليه السلام من قبيل أعمال أهل الطب فابرأ على يديه الأبرص والأكمه وأحيا الموتى فأهل المعرفة في علم الطب لا يحتاجون في تصديق رسالته إلى أمر صعب بل من الواضح لديهم أن يقولوا إننا نعلم فن الطب ومقدار ما يمكن

الانسان أن يبلغه فيه من الأعمال ومالا يمكنه فيدخل فى طاقة الأطباء الحذاق ان يشفوا الأبرص لكنه بمعالجة مخصوصة مع مرور زمان مخصوص وأما شفاؤه فى الحال بمجرد لمسه أو الدعاء له فهذا ليس فى طوقهم و يمكنهم أن يشفوا مرض الأعين الذى يكون عرضيا ليس مخلا بجوهر البصر وأما شفاء الأكمه عديم البصر فهذا ليس فى طوقهم واحياء الموتى أيضا ليس فى طوقهم البتة وحيث إن عيسى قد أتى بهذه الخوارق التى ليست داخلة فى طوق البشر كما يظهر لما من الاطلاع على فن الطب فيكون ذلك دليلا على صدق دعواه الرسالة إذ أن تلك الخوارق ليست الا بايجاد الله تعالى القادر على كل شئ أجراها على يد عيسى معجزة له مؤيدة دعواه وأما غير أهل المعرفة فى فن الطب فلهم أن يستدلوا على صدق عيسى بتصديق هؤلاء الأطباء نظير ما استدل من آمن بموسى ولم يكن من أهل المعرفة فى فن السحر بالمشاهدة وايمان السحرة به اذا علمت جميع ما قررناه فاعلم أنه قد نقل الينا بالتواتر المفيد لليقين أى نقل الينا الجماهير الكثيرة الذين لا يحصى عددهم و يحيل العقل تواطؤهم على الكذب كاحالته مثلا تواطؤ الناس جميعا على الاخبار بوجود مكة والحال انها غير موجودة عن الجماهير الكثيرة كذلك وهلم جرا عن الجماهير الكثيرة كذلك الذين شاهدوا سيدنا ﴿ محمد ﴾ بن عبد الله بن عبد المطلب و رأوه رأى العين وأحاطوا بأحواله و بما جرى له فى مدة حياته مع الأمم حتى تم له تصديق الألوف من أتباعه

بكل ماجاء به أنه بعد ما مضى له من العمر أربعون سنة بين قومه وقد عرفوه
بالصدق والأمانة حتى دعوه ﴿ محمدا ﴾ الأمين ولم يجر له فى تلك المدة تعلم
القراءة والكتابة ولم يجتمع مع أهل هاتين الصنعتين اجتماعا يمكنه معه أن
يتعلمهما منهم ويؤهله ذلك لاكتساب جملة معارف الأمم وشرائع الأقدمين
وقوانين الممالك ولم يعثر عليه فى تلك المدة أنه كان يعانى شيأ من ذلك وكذلك
لم يجر له فى تلك المدة ممارسة صناعة الفصاحة والبلاغة فلم يكن له عناية
بالاشعار والخطب والرسائل العربية لاقولا ولارواية ولم يكن مولعا بمحاورة
الفصحاء ومغالبة البلغاء من كل ما يقوى فيه ملكة تلك الصنعتين
الشريفتين ويؤهله الى بلوغ الدرجة القصوى فيهما قام بين جماهير
العالم من عرب وعجم مع فله ذات يده وفقد الناصر والمعين وليس
فى آبائه سبق سلطنة قد زالت فيظن به انه يريد استردادها بالتحيل على
الرياسة فادعى أن الله تعالى قد أرسله الى الناس كافة ليبلغهم ما شرعه لهم
متكفلا بنجاحهم فى الدنيا والآخرة وأن هذا الشرع يناسب زمانه
الذى أرسل فيه الى انقضاء هذه الدنيا وهو ناسخ لكثير من أحكام شرائع
الرسل الذين أرسلوا قبله فى الزمان الماضى الذى كانت تلك الاحكام
المنسوخة تناسبه وانه ينهاهم عن عوائد وأخلاق قبيحة مضرة بصالحهم
ورثوها عن آبائهم أو زينها لهم الشيطان وأقبح شئ منها عبادة الأوثان
والنيران والأحجار والأشجار وأنه يأمرهم بتوحيد الله تعالى

إعتقاد اتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان وافراده تعالى بالعبادة وأداء شكره على نعمه التى أنعمها عليهم و بالحقيقة ذلك الشكر عائد بالمنافع اليهم كخضوعهم له فى الصلوات الناشئ عنه تهذيب نفوسهم ووصلتهم مع خالقهم وكزيارتهم الامكنة التى وعدهم عندها غفران السيئات الى غير ذلك من كل ما يجلب لهم الخير و يدفع عنهم الضير فعند ما سمع منه أولئك الجماهير هذه الدعوى العظيمة نفروا من قبول دعواه وعادوه أشد المعاداة وهجره منهم الاهل والخلان وكذبه الشيوخ والشبان وتحول له الاوداء أعداء والموافقون أخصاما ألداء ثم أخذوا فى مجادلته ومخاصمته وجرهم منهج المجادلة الى طلب الحجة وصار كل منهم يطلب منه برهانا على صدق دعواه و يتمحل له التعجيز فى كل ما يهواه وهو صلى الله تعالى عليه وسلم ينصب لهم الدلائل و يجيب منهم كل سائل ومن أعظم الحجج التى استند فى اثبات دعواه اليها وجعل معظم اعتماده عليها ما تلاه عليهم من مجموع كلام عربى يسميه قرآنا و يقول انه من عند الله تعالى أرسله به اليهم وهو مشتمل على التصريح بأنه رسول الله تعالى الى الناس كافة وأنه صادق فى كل ما يبلغه عنه تعالى وهو متكفل ببيان الشرع الذى شرعه الله تعالى لهم وأنه يتحداهم بأقصر جملة منه يسميها سورة يعنى أنه يستدل على أنه من عند الله تعالى بعجز فصحاء أهل اللسان العربى و بلغائه عن الاتيان بما يساوى أقصر سورة منه بفصاحتها و بلاغتها وقد كان فى الامة العربية

أمراء الفصاحة والبلاغة العربيتين الرائج في ذلك الزمان سوقهما بين
تلك الامة فكانتا أعظم علومهم وأكرم مفاخرهم وهم أكثر الناس
وخطيبا وفيهم العالمون بأساليبهما الحاملون أعلامهما والمحيطون بأسر
وبما هو في طوق البشر من مراتبهما وبما ليس في طوقهم ولم يزل ص
تعالى عليه وسلم يصفهم بالضعف والقصور عن معارضة أقصر سور
ذلك القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا منوها بذلك في كل محفل
له في كل جحفل ومع ذلك يسفه أفعالهم في عاداتهم وعباداتهم ويط
معبوداتهم التي عبدوها بضلالاتهم فأخذ علماء الفصاحة والبلاغ
وأمراؤهما بينهم يتأملون في ذلك القرآن ويسبرونه بمسبار ال
ويتدبرونه تدبر الناقد البصير عسى أن يتبين لهم طريق لمعارضته وا
حجته فلا وربك ما وجدوا ولن يوجد الى الآن وبعد الآن الى ا
الزمان مع وفور الفصحاء والبلغاء وكثرة الاعداء الالداء نقول هذ
رؤوس الاشهاد والقرآن ينطق به في عدة آيات وهو يتلى في كل ناد لـ
ظهر لهم أن هذا القرآن قد بلغ مرتبة في الفصاحة والبلاغة لاتدركها الق
البشرية ولو أن أحدا كابر وعارض لجاء بالغث البارد وأصبح سخرية
الصادر والوارد فتحقق لديهم عجزهم عن معارضته ولو بأقصر سورة
فاقر من وفقه الله تعالى منهم بعجزهم بل بعجز البشر وبأن ذلك دليل على
من عند خالق القوى والقدر وصدقوا دعوى سيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى

الى عليه وسلم بالرسالة من الله وتركوا عاداتهم القبيحة وعباداتهم الباطلة
تنقوا ما شرعه الله تعالى لهم واجتباه ثم ان كثيرا ممن لم يكونوا من أهل
صاحة والبلاغة من الامة العربية أو من سواهم من الاعاجم وجد لهم من
ستدلال بمعجزة القرآن على صدق سيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه
لم بدعوى الرسالة ما يقنع أفكارهم و يحملهم على اعتناق دينه الشريف
ث بأن يقولوا إن ﴿ محمدا ﴾ عليه الصلاة والسلام قد قام بدعوى
هالة فريدا وحيدا مخالفا لجميع العالم فى عاداتهم وعباداتهم لا ناصر له ولا
ين وقد ادعى عجز فصحاء العرب و بلغائهم المشهود لهم بكمال الفصاحة
لاغة عن معارضة أقصر سورة من قرآنه الذى جاء به وهؤلاء مع تمسكهم
اداتهم وعباداتهم الموروثة عن آبائهم والمألوفة من لدى نعومة أظفارهم
تعصبهم لعشيرتهم و بنى جلدتهم وليس لدى ﴿ محمد ﴾ من حطام
لدنيا ما يبعث على رغبتهم فى اتباعه ولا هو صاحب عصبية وقوة تخيفهم من
نه لانه فى أول دعواه عاداه الأهل والأرحام بل جميع الأنام فقد أقر
تلك الفصحاء البلغاء بعجزهم عن معارضة أقصر سورة من قرآنه وأن
جة الفصاحة والبلاغة المحتوى عليها لا تبلغها الطاقة البشرية وصدقوا
عواه الرسالة من عند الله تعالى فلولا أنهم قد تحقق لديهم على ما عندهم
بكمال المعرفة فى فن الفصاحة والبلاغة أنهم عاجزون عن معارضة
لله وأن ذلك القرآن لم يكن الاتيان به فى طوق البشر وهو دليل على أنه

من عنـد الله تعالى لما آمنوا ﴿ بمحمد ﴾ وتركوا عاداتهم وعباداتهم الموروثة المألوفة ولا رغبة هناك لهم في حطام ولا خوف من انتقام ولا يخفى أن أصعب شيء على العاقل مفارقة دينه الذي يرجو به النجاة في الدنيا والآخرة وأصعب شيء بعد ذلك عليه مفارقة عوائده التي ألفها وتلقاها عن أسلافه حتى أن البعض وان استشعر برداءة عوائده يصعب عليه مفارقتها وتحكم عليه نفسه بملازمتها فالعاقل لا يفارق دينه الا اذا تيقن النجاة في دين سواه ولا يهجر عوائده لا سيما الموروثة المألوفة الا بسبب قوي قاهر فحال هؤلاء القوم الفصحاء البلغاء مع ﴿ محمد ﴾ وايمانهم به على هذا الوجه هو دليل لنا كاف لتصديقنا اياه فيما ادعاه من الرسالة من عند الله تعالى وليس ايمان هؤلاء الفرقة بالتقليد للفرقة الذين هم أهل معرفة بالفصاحة والبلاغة بل ايمانهم بطريق استدلالي كما هو ظاهر ولهذا الطريق وأمثاله كلفت الاعاجم بالايمان برسالة نبينا عليه الصلاة والسلام وان لم يعرفوا اللسان العربي

ثم ليعلم أن في القرآن استدلالا على صدق سيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم في دعوى الرسالة من طريق غير طريق اشتماله على الفصاحة والبلاغة اللتين أعجزتا فصحاء العرب وبلغاءهم وهو أيضا معجزة من هذا الوجه خارقة للعادة لا يمكن البشر الاتيان بها وبيان ذلك أنه اذا تأمل فيه أهل الخبرة في نقد الكلام ومعرفة الصفات الفاضلة فيه وذووا المعارف والفنون

والسياسات وتدبروا أساليبه ومحتوياته ظهر لهم بالنظر الصادق أن هذا
القرآن قد وجدت فيه خصوص فاضلة وصفات كاملة لا يمكن في العادة
اجتماعها في مجموع كلام مهما تأنق فيه واضعه واتسع اطلاعه على الماضي
والحاضر والمستقبل وأحوال الأمم في شؤنها أجمع والاحاطة في جميع الفنون
والآداب والحكم والسياسات وتحرى فيه عدم المناقضة والتضارب وحسن
الاسلوب مع الانفراد عن الأساليب المعهودة عند العرب الا أن يكون
القائل هو الله تعالى القادر على ذلك كله وعلى جمعه في كلام يريد جمعه
فيه وذلك أنهم يجدون هذا القرآن يخبر عن غيوب مستقبلة تأتي طبق
أخباره كوعده اتباع ﴿ محمد ﴾ عليه السلام بدخول مكة آمنين فجاء
الأمر كذلك و يخبر عن قصص الاولين وسير المتقدمين كما هي حكاية من
شاهدها وحضرها ويخبر عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك من أصحابها
بقول أو فعل كما يعلم من حوادث حدثت لبعض أتباع ﴿ محمد ﴾ عليه السلام
ولبعض أعدائه كما جاء في التفاسير وكتب الاحاديث وهو مع اتساع
مجاله في كل فن من أخبار وأحكام ومواعظ وأمثال وأخلاق وآداب
وترغيب وترهيب ومدح الأخيار وذم الفجار وتحذير من قبائح السجايا
ومواقع الدنايا وتدبير السياسات ومراعاة الأوداء ومدافعة الاعداء ومجادلة
الخصام وتبكيت الطغام وإقامة الدلائل على وجود الباري تعالى
وتوحيده وعلى الحشر والنشر ودفع الشبه وازالة الريب و وصف دار

النعيم وأحوال سكانها ودار الجحيم وأهوالها ووصف عالم السموات ومافى العالم العلوى من الآيات من كواكب وأمطار وسحائب وبروق ورعود وعجائب ووصف الارض وجبالها وسهولها وبحارها وينابيعها وأنهارها وما اشتملت عليه من نباتات وحيوانات ومعادن وأزهار وأثمار وأشجار وأطيار وظلمات وأنوار حتى يصح أن يقال إنه لم يبق علما من علوم الاوائل والأواخر الا صرح به أو أشار اليه على أساليب متنوعة وطرائق مبتدعة لم يقع فيه تناقض ولم يتخلله تضارب خاليا عن جميع العيوب خارجا بحسن نظمه عن مشابهة كل أسلوب ليس له مثال يحتذى عليه ولا إمام يقتدى به فلا هو من نوع القصائد العربية ولا من الخطب البدوية ومع ذلك فهو فى العقول مستحسن وفى النفوس مستملح وفى الأذواق مستعذب وفى القلوب محبوب وللاسماع مألوف كلما تكرر رحلا ومن أى الافواه سمع علا وغلا ولا يصح فى العقل السليم أن تجتمع كل تلك الصفات فيه اتفاقا ولا يصدق بالصدفة فى ذلك الفكر الصحيح فمن الواجب فى حق هؤلاء المتأملين فيه والمتدبرين فيما يحويه واللائق بانصافهم بعد ذلك أن يقولوا إن الذى ظهر لنا وتحققناه من اجتماع تلك الصفات فى هذا الكلام البديع أنه كلام تعجز عنه قوى البشر ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فاتيان ﴿ محمد ﴾ عليه السلام به وهو أمى ومن المحال عادة أن يأتى به أكبر العلماء وأحذق الفلاسفة وأعظم المؤرخين وأكبر السياسيين دليل واضح على

أنه من عند الله تعالى أرسل به ﴿ محمدا ﴾ ليكون معجزة له تدل على تصديقه اياه فى دعوى الرسالة واعلم أن هذا الطريق فى الاستدلال على كون القرآن معجزة أيد الله تعالى بها سيدنا ﴿ محمدا ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم قد هدى الله تعالى به كثيرا من أتباعه عليه الصلاة والسلام كما هدى بالطريق الاول وهو احتواء القرآن على الفصاحة والبلاغة اللتين عجز فصحاء العرب و بلغاؤهم بسببهما عن معارضة أقصر سورة منه ولم يزل كل من هذين الطريقين سهل السلوك على أهل المعرفة بفن الفصاحة والبلاغة وعلى أصحاب المعرفة بفضائل الكلام الى الآن و بعد الآن الى انقضاء الليالى و الأيام ومن لم يكن من أهل هاتين الفضيلتين فله الاستدلال بخضوع أهلهما وتسليمهم بتلك المعجزة الخارقة للعادة حتى فارقوا دين آبائهم وعوائدهم واتبعوا سيدنا ﴿ محمدا ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم فى دينه وهداه كما تقدم شرح ذلك قريبا وبذلك ظهر أن معجزة القرآن التى أعطيها سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هى معجزة باقية الى آخر الزمان و بقية المعجزات وان يكن قد انتفع بها من شاهدها ممن كان فى عصر الرسل عليهم الصلاة والسلام وانتفع بها من نقلت اليهم بالنقل الصحيح كأهل الأعصر التى بعد الرسل لكنها لم تبق مشاهدة الى الآن و بعد الآن فلمعجزة القرآن هذه الخاصة من بقاء مشاهدتها على كر و ر الزمان وهذا من جملة ما أكرم الله تعالى به سيدنا ﴿ محمدا ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم وخصه به عن سائر

الرسل الكرام لكن الهداية بيد الله تعالى يهدى من يشاء إلى الصراط المستقيم ومن معجزات سيدنا ﴿محمد﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم التى ذكرت فى القرآن الشريف والحديث المنيف انشقاق القمر فرقتين بطلبه عليه السلام من ربه حينما طلب منه المشركون ذلك فرأى انشقاقه الكثير من أهل مكة إسلاما ومشركين وورد الى مكة جماعات من المسافرين الذين كانوا بعيدين عنها ولكن أفق أمكنتهم مساو لأفقها فأخبروا أنهم رأوا انشقاق القمر فى تلك الليلة وعدم رؤية أهل الارض جميعا تلك الحادثة لاينافى وقوعها لان القمر بسبب اختلاف الآفاق التى يراه منها أهل الارض لا يظهر على الناس جميعا فى آن واحد بل كل وقت يظهر لاهل أفق ويخفى عن غيرهم كما يعلم من فن الهيئة وهذه المعجزة من يسمع بها ويكون مؤمنا بوجود الاله القادر ويتصور أن انشقاق القمر من الجائزات العقلية لا يمتنع عن التصديق بوقوعها بعد صحة نقلها وتوضيح جوازها أن القمر ماهو الا جسم من جملة الاجسام القابلة للانقسام

والالتحام وكم يوجد فى أرضنا من انشقاق جبال عظيمة وحدوث وديان لم تكن والتحام جبال كانت منفصلة وهذه الحوادث الأرضية وان تكن جرت عادة الله تعالى بايجادها بأسباب يحدثها الله تعالى من نحو الزلازل والصواعق والأمطار العزيرة ولكن تلك الأسباب ماهى الاعادية والله تعالى قادر على ايجاد تلك الحوادث بدون تلك الاسباب كما يعلم من كمال قدرته

سبحانه وتعالى والقادر على التصرف بهذه الأجسام الأرضية تلك التصرفات هو قادر على التصرف فى القمر بالانشقاق ونحوه اذ لا فرق بينه وبينهما فى الجسمية وقبول الانشقاق والالتحام الا أن القمر أكبر منها والكبر والصغر لا دخل له فى قبول ذلك وعدم قبوله فى جانب قدرة الله تعالى ثم إن الروايات الصحيحة التى نقل لنا فيها تلك المعجزة تفيد أن القمر انشق فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه والمراد بذلك انه صار يرى الرائى أن فرقة منه فوق الجبل أى فى أفقه لا يعنى أنها كانت على نفس الجبل وفرقة دونه أى فى مقابلته لا يعنى انها تحت الجبل وهكذا يقول الواحد منا قد رأيت القمر فوق الجبل وخلفه وفوق البحر والحال أن القمر ليس كذلك وانما مراده التعبير عن كيفية الرؤية له فلا يقال إن القمر جسم كبير جدا دون أرضنا بقليل على ما يقوله علماء الهيئة فلا يمكن أن فرقة منه توضع على نفس جبل صغير من جبال الأرض ويسعها ذلك الجبل وفرقة منه تكون تحت الجبل بالفعل لأن هذا غير مراد كما علمت وانما نصت الرواية على كيفية هذه الرواية لتفيد أن الفرقتين من القمر قد تباعدتا عن بعضهما حتى لا يكون للمشركين اشتباه فيما لو كانتا متقاربتين فيقولون إن رؤيتنا انشقاقه هى من غلط الحس والتخيل الذى لا أصل له فى الواقع ومن المعلوم ان القادر على شق القمر فرقتين هو قادر على تباعدهما ذلك التباعد ثم ضمهما لبعضهما ثم من غريب ما يحكى عن بعض شروح المدونة أن فرقة

منه نزلت لجنبه وخرجت من كمه عليه السلام فهذه الرواية غريبة لا يجب علينا الايمان بها لعدم قوة سندها فلا حاجة لنا فى تأويلها وتطبيقها على قانون العقل ومع هذا فيمكن تطبيقها بأن تلك القطعة كانت صغيرة قابلة للنزول والخروج من كمه إذ لا صراحة فى تلك الرواية بأنها كانت نصف القمر وهذا لا استحالة فيه وقدرة الله تعالى صالحة لذلك ونحن معشر المسلمين لما نقل لنا انشقاق القمر معجزة لنبينا عليه الصلاة والسلام بالنقل الصحيح وهو من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى آمنا وصدقنا بوقوع ذلك بلا ريب

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام وقوف الشمس مدة من الوقت وردها بعد المغيب وقد روى هذا فى بعض الاحاديث وروى أيضاً أن الشمس وقفت عن المغيب ليوشع بن نون عندما كان مع بنى اسرائيل يقاتل الجبارين وذلك معجزة له أيضا والاحاديث فى وقوف الشمس وردها وان كانت آحادية بمعنى أن نقلها لم يكن متواترا قطعى الثبوت بحيث يكفر منكره لكن الايمان بذلك هو الموافق لشأن المسلمين والاسلم لهم فى دينهم فنحن نؤمن به ونصدق بوقوف الشمس وردها بعد المغيب وان كان فى نفسه أمراً عظيما جدا ولكنه من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى ولا يعد عظيما بالنسبة لعظيم قدرته سبحانه وتوضيح ذلك أنه سواء اعتبرنا أن الشمس هى التى تسير أو أن الارض هى التى تدور على

محورها وتمر بأوجهها على الشمس كما تقول به الهيئة الجديدة فكلا الامرين لم يكن الا بقدرة الله تعالى فهو الذي يسير الشمس أو يدير الأرض مقهورة بقدرته وسلطانه والذي يكون قادرا على تحريك كل من هذين الجسمين العظيمين هو قادر على ايقافهما ساعة من النهار أو على عكس حركتهما مدة من الوقت ثم اعادة الحركة كما كانت ولا يلزم على ذلك محال وان قيل على فرض تسليم القول بالهيئة الجديدة وان الارض هي التي تدور لو وقفت الارض عن حركتها أو انعكست حركتها يلزم أن يبقى ماء البحر آخذا بحركة الاستمرار فكان يفيض على اليابسة و يغرق أهلها قلنا إن القادر على ايقاف الارض أو عكس حركتها هو قادر على سلب حركة الاستمرار من ماء البحر وجعله تابعا للأرض في وقوفها وعكس حركتها فلا يفيض حينئذ على اليابسة ولا يلتفت الى قول بعض الملحدين إنه ليس من حكمة الخالق تعالى أن يوقف ذلك الجسم الكبير المبني حركته على ناموس عظيم في الكون وهو ناموس الجاذبية كما يقول أهل الهيئة الجديدة لأجل غرض واحد من البشر وهو ﴿ محمد أو يوشع ﴾ عليهما السلام لانا نقول لم يكن ذلك الصنع منه تعالى لأجل مجرد غرض واحد من البشر وانما هو لحكمة بالغة وهي اظهار المعجزة الخارقة للعادة التي ينشأ عنها اهتداء ألوف من الخلق و يرجعون بذلك من الكفر الذي يهلك نفوسهم الى الايمان الذي يحيها الحياة الأبدية و ينشأ عنها تثبيت ألوف وتمكينهم بالايمان ممن آمنوا قبل

ذلك ويبقى ذكرها ونقلها بين الخلق يتحدث بها الجيل بعد الجيل وينتفع بنقلها من أراد الله تعالى هداه ويتصور بها عظمة قدرته تعالى وعجيب أعماله فهذه الحكمة العظيمة توازى فى العظمة حصول تلك الخارقة وتفوقها ويليق بها أن تحصل تلك الخارقة لاجلها على أن ذلك الملحد نظر الى مجرد عظمة تلك الخارقة ولو قابلها بعظمة قدرة الله تعالى لما وجدها شيأ يذكر وهذه الخارقة وغرض واحد من البشر عند البارى تعالى على حد سواء فى أن كلا منهما تحت تصرفه ومشيئته ولا يعظم شىء منهما الذى عظمته وان كان فى نظرنا القاصر أننا نجد الفرق بينهما عظيما وهما عند الله سيان فى الجواز والامكان ثم إنه فى بعض الروايات التى نقلت تلك المعجزة ما يفيد أن الرسول طلب وقوف الشمس أو اعادتها فلا يقال على فرض تسليم رأى الهيئة الجديدة بدوران الارض أنه كان الصواب فى حق ذلك الرسول أن يطلب وقوف الارض أو عكس حركتها عوضا عن طلب ذلك فى الشمس لانا نقول على فرض تسليم ذلك فلا مانع من أن يكون الرسول يعلم حقيقة الأمر ولكنه طلب ذلك فى الشمس بناء على الظاهر والجارى فى رأى الشعب والمألوف بينهم فى الاستعمال والله سبحانه يعلم المقصود من طلبه ولا يكون ذلك غلطا من الرسول وهكذا نرى أهل الهيئة الجديدة يجرون فى كلامهم على ظاهر ما يبدو لاهل لغتهم ويجرى فى استعمالهم فيقولون طلعت الشمس وغربت وهم يعتقدون وقوفها وحركة الارض .

ولم نسمعهم يقولون طلعت الارض أو غربت أو وصلت الارض لمقابلة نور الشمس أو فارقته وكل ذلك منهم على حسب الشائع فى الاستعمال وظاهر ما تعطيه المشاهدة اذا علمت ما قررناه واندفعت عنك تلك الشبه بما حررناه فاعلم أننا معشر المسلمين قد آمنا بهذه المعجزة اذ لا مانع يمنع من وقوعها والله قادر على ايجادها معجزة مؤيدة لرسله الكرام يهدى ويثبت بها الالوف من الأنام

ومن معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام التى نقلت الينا فى الأحاديث الشريفة نبع الماء من بين أصابعه فاستقى منه العدد الكثير وتكثير الطعام القليل حتى شبع منه الجم الغفير فمن يعتقد بوجود الاله سبحانه وقدرته على خلق الأجسام وابرازها من العدم أو قلبها من صورة الى صورة فلا مانع يمنعه من تصديق هاتين المعجزتين وتوضيح ذلك أنه لا مانع أن الله تعالى عند طلب الناس من الرسول الماء خلق سبحانه الماء أو قلب الهواء ماء وصار يبرز للحاضرين من بين أصابع رسوله عليه الصلاة والسلام حتى اكتفى المستقون للماء وقلب الهواء ماء هو داخل تحت قدرة الكيماويين فى كسبهم وقد ورد قريبا فى المجلات العلمية أنهم اكتشفوا قلب الهواء سائلا فما بالك بقدرة خالق الهواء والماء وأهل الكيمياء وكذلك لا مانع أن يخلق الله تعالى طعاما من جنس الطعام القليل الذى كان فى حضرة الرسول ويضيفه اليه ولم يشاهد الحاضرون الا أن الطعام القليل

قد كثر وشبع الكثير منه بحيث كان جميع ذلك من الجائزات العقلية وقدرة الله تعالى صالحة لابرازه وقد نقل لنا وقوعه معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فقد آمنا وصدقنا به معشر المسلمين

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام شفاء الامراض العضالة على يديه بمجرد لمسه لاصحابها أو دعائه لهم ورد عين أحد أصحابه بعد ماقلعت فعادت أحسن ما كانت واحياء الميت بمجرد دعائه وهذه الخوارق قد نقلت لنا بالأحاديث الشريفة فآمنا بها وصدقنا لأنها جائزة وداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى وهو الذى يوجدها على يد رسوله معجزة له أو توضيح ذلك أن شفاء الأمراض وان كانت عادة الله تعالى فيه هو أن يكون بأسباب وفى زمن ممتد لكن ذلك أمر عادى والله قادر على ابرازه بدون ذلك خرقا للعادة كما مر بيانه وارجاع العين المقلوعة وان لم تجر العادة فيه فانه من الجائزات العقلية ولا يحكم العقل باستحالته وانا نرى كثيرا من الاطباء يصلون بعض أجزاء الجسم الحيوانى بعد انفصاله ويلتحم بواسطة العمليات الجراحية ورد العين وان لم يكن داخلا تحت كسبهم وقدرتهم ولكنه داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى الكاملة التى لا تقاس قدرتهم بها واحياء الميت فهو من الجائزات العقلية وان لم تجر العادة به وأن القادر على جعل الجماد حيوانا واعطائه الحس والحركة والادراك هو قادر على احياء الجسم الحيوانى بعد أن تفارقه الحياة فمن يتصور عظمة قدرة الله تعالى وعجائب أعماله

لا يمتنع من تصديق وقوع هذه الخارقة مادامت تنسب لفعله تعالى

ومن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم نطق الطفل الرضيع والحيوان الأعجم والشجر والحجر وشهادتها له بالرسالة وقد نقل لنا هذا فى الأحاديث الشريفة وورد فى القرآن المجيد نظيره وهو كلام الهدهد والنملة لسيدنا سليمان عليه السلام وهذه الخوارق هى من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى وبيان ذلك أن كل شئ فى هذا الكون من أجسام وأعراض كالاصوات وغيرها هو بخلق الله تعالى فكلام الانسان الكبير هو لا شك بخلق الله تعالى ونفس طبيعته الحيوانية لا تستلزم صفة الكلام اذ لا فرق بينها وبين طبيعة الحيوانات العجم فى الحيوانية بل لا فرق بينها وبين الجمادات فى أصل الجسمية كما أن صورته لا تستلزم صفة الكلام أيضا اذ قد يوجد من أنواع القرود ما يشابه الانسان فى الصورة تمام المشابهة الا فى اكتساء جلده بالشعر وهذا لا يكون فرقا موجبا لتخصيص الكلام بالانسان الكبير ومع ذلك فلا يتكلم ذلك القرد ولا دليل على وجوب انحصار صفة الكلام بالانسان بل قد وجد بعض الحيوانات البعيدة المشابهة عنه قابلة لتعلم الكلام وذلك كالطير المسمى بالببغا وفيما قررناه قد ظهر أن نوال الانسان لصفة الكلام ما هو الا بتشريف الله تعالى له بها وان قيل يمكن أن يكون فى الانسان الكبير شئ خفى علينا ولم يوجد فى غيره هو الموجب له صفة الكلام ولعله الذى يسمى بالقوة الناطقة

و يعد فصلا للانسان أو تكوين خاص فى مخه كما يقول المتأخرون قلنا حصر الموجب للكلام فى هذين غير مسلم على أن الثابت عندنا أن مثل هذا الموجب سبب عادى والله قادر على خلق الكلام بغير واسطته فالقادر على خلق صفة الكلام فيه قادر على خلقها فى غيره من الطفل الرضيع والحيوان الاعجم والجماد وان كان هذا خلاف العادة فالله تعالى يخرق به العادة معجزة لرسوله فيخلق تلك الالفاظ التى وجدت من ذلك الشيء الذى لم نعهده يتكلم و يصدرها عنه و يسمعها الحاضرون فنحن معشر المسلمين قد آمنا بهذه المعجزات لانها من الجائزات الداخلة تحت قدرة رب الارض والسموات

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام التى وردت الاشارة اليها فى القرآن المجيد و بينها الحديث الشريف رميه صلى الله تعالى عليه وسلم وجود الكفار يوم الحرب بكف من تراب فأصاب عين كل واحد منهم شيء من ذلك التراب وانهزموا وهذه الخارقة من الجائزات العقلية اذ لا مانع من وصول شيء من ذلك التراب لعين كل واحد ولكن ليس فى قدرة أحد من الناس أن يوصله هذا الايصال و يوزعه على أعينهم هذا التوزيع ولكنه فى قدرة الله تعالى فهو قادر على فعل ذلك معجزة لرسوله عليه السلام وقد امتن عليه بهذه الخارقة التى صرف بها عنه وعن أصحابه الأعداء فقال فى القرآن الشريف مخاطبا له عليه السلام بقوله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) يعنى

ومارميت حقيقة وأوصلت التراب الى كل عين من أعين الكفار حين رميت ظاهر الان ذلك ليس فى قدرتك ولكن الله هو الذى رمى حقيقة وأوصل حبات التراب لأعين اعدائك لمحاربين فنحن معشر المؤمنين نؤمن بحصول هذه الخارقة معجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

ومن معجزات سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إخباره بالمغيبات سواء كانت حاضرة فى الزمان غائبة عن العيان أو كانت مستقبلة ستأتى ولو بعد مئات من السنين وهذه المعجزة بلغت الأحاديث فى كثرة حدوثها حد التواتر المعنوى وافراد حوادثها بحر لا ساحل له أما إخباره عليه السلام بالمغيبات التى كانت حاصلة فى زمانه غائبة عن عيانه فذلك كاخباره بوفاة النجاشى و بالظعينة الحاملة الكتاب الى قريش وفى كتب الاحاديث من ذلك شئ كثير جدا تضيق عنه الصحف فن أراد الاطلاع على ذلك فليرجع اليها فيرى العجب العجاب وأما إخباره بالمغيبات المستقبلة فهو شئ كثير الحوادث منه ما وقع فى حياته ومنه ما وقع بعد وفاته بعد أزمنة قليلة أو متطاولة ومنه ما سوف يقع ولنذكر شيأ من هذا النوع مما ورد فى القرآن المجيد أو الاحاديث الشريفة على وجه الاختصار يظهر به الحق بلا إنكار فنقول من ذلك ما ورد فى القرآن الشريف أن أصحابه يدخلون المسجد الحرام آمنين وكانت مكة حينئذ فى أيدى المشركين وهم محاربون له ولأصحابه فدخلها هو وأصحابه عليه الصلاة والسلام وحقق الله تعالى لهم

ذلك ومن ذلك قوله فى القرآن (غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) فكان الامر كذلك فبعد أن غلبت فارس الروم غلبتهم الروم فى بضع سنين أى مابين الثلاث سنين الى العشر كما أخبر القرآن يعلم ذلك من السير النبوية والتاريخ وفى القرآن جملة أخبار غيبية يعلم بيانها من كتب التفاسير ومن ذلك ماورد فى الاحاديث الشريفة كما رواه الشيخان وأصحاب السنن والحفاظ الأئمة كأحمد والشافعى وأبى حنيفة ومالك من أنه عليه السلام أخبر أصحابه بالظهور على أعدائهم وبفتح مكة والقدس الشريف والشام واليمن والعراق وظهور الأمن فى الممالك الاسلامية حتى تصير المرأة تسافر من الحيرة الى مكة لاتخاف الاالله تعالى فكان ذلك ولله الحمد فى حياته وبعد وفاته عليه السلام وأخبرهم بما يفتح الله تعالى على أمته ومايؤتون من زهرة الدنيا وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر فكان ذلك وفتحت أمته بلاد كسرى وقيصر وقسمت خزائنهما بينهم وأخبرهم انه يغدو أحدهم فى حلة ويروح فى أخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع أخرى يعنى تفيض عليهم الدنيا ويأخذون بالتنعم بعد تقشف العيش الذى كانوا فيه وكان الامر كذلك وهذا وضع صحفة ورفع أخرى تحقق فى كيفية تناول الطعام الذى يسمى فى اللغة التركية (قالدر) وأخبرهم أنهم يقاتلون الخزر والروم وبذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولافارس بعده وكان الامر على ماأخبر وأخبر أنه زويت له

الارض فأرى مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمته ما زوى له منها وكذلك كان فامتد ملك أمته في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند في المشرق الى بحر طنجة في المغرب ولم يمتد في الجنوب والشمال مثل ذلك الامتداد وأخبر بالموتان الذي كان بعد فتح بيت المقدس فكان بعد ذلك الفتح طاعون عمواس وأخبر بما ينال أهل بيته رضي الله تعالى عنهم من التقتيل والتشريد وبقتل سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه في الطف فكان ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وأخبر عن الحسن رضي الله تعالى عنه بأنه يصلح الله به بين فئتين فكان الصلح بسببه بين الفئة التي معه والفئة التي مع معاوية وقال لسراقة أحد أصحابه كيف بك إذا لبست سواري كسرى فلما أتي بهما لعمر عند فتح بلاد فارس ألبسهما سراقة وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة كما نقله السيوطي في الجامع الصغير ونقله في جمع الجوامع عن البخاري في التاريخ والحاكم في المستدرك ونقل بعضهم عن الامام أحمد في مسند حسن وصححه عن بشر الغنوي لتفتحن القسطنطينية ولنعم الامير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش وقد حقق الله تعالى فتح القسطنطينية على يد ساكن الجنان السلطان محمد الغازي المشهور بأبي الفتح في عام ثمانمائة وسبع وخمسين من هجرة سيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم وأصبحت عاصمة دار الاسلام ومقر خليفة سيد الانبياء العظام وموئل الخاص والعام وما أحسن تلك الشهادة من حضرة فخر الكائنات

عليه أفضل الصلاة والتحيات فى حق فاتح القسطنطينية حضرة مولانا السلطان محمد الغازى بل الله ثراه برضوانه وأسكنه فراديس جنانه وفى حق جيشه المؤيد المنصور وما أكرمهما من منحة تنشرح بها الصدور وكيف وهى من أعظم المناقب الحسان لسادتنا سلاطين آل عثمان مع مالهم من المفاخر التى لا تعد والمآثر التى لا يحيط بها احد بما فتح الله تعالى على أيديهم من الممالك العظيمة والأقاليم الجسيمة وجمعهم كلمة أهل الاسلام بعد التفرق وانقسام ممالك الاسلام الى أقسام عديدة وحكومات متباينة كل ذلك مع محافظتهم على الشريعة المحمدية المطهرة وتأييد الملة الحنيفية المنورة ونصرتهم مذهب أهل السنة والجماعة وحمايتهم الممالك الاسلامية وثغورها وتعظيمهم لحملة الشريعة المحمدية من علماء الدين وتعظيمهم ومودتهم لآل بيت سيد المرسلين وأشرف النبيين اكراما لجدهم الأعظم واستمدادا لروحانيته صلى الله تعالى عليه وسلم وخدمتهم للحرمين المحترمين والمسجد الاقصى وتشييدهم من الجوامع والمساجد وبيوت الأذكار وجليل الآثار مالا يحصى وتعهدهم بالعطايا صنوف المحتاجين وتطييب قلوب أفراد التبعة العثمانيين وبذل ثابت الهمم فى تأييد هذا الدين وإقامة شعائر الموحدين ونشر العلوم والمعارف فى سائر الاقطار وكافة النواحى والأمصار الى غير ذلك من المناقب الجليلة والمآثر الجزيلة التى ملأت الكتب والدفاتر وقصرت عن احصائها الأقلام والمحابر فالله المسؤول أن يؤيد شوكة مجدد مفاخرهم

ومؤيد مآثرهم حضرة سلطاننا الأعظم وخليفة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على ممر الدهور والأزمان ملحوظا بعين عناية سيد الأكوان صلى الله تعالى عليه وسلم آمين آمين وليعلم أن هذه الاحاديث الواردة فى أخباره عليه الصلاة والسلام بالأمور المستقبلة قد دون كثير منها فى تأليف العلماء الأئمة الأعلام قبل أن تحدث وقائعها فى الكون ثم بعد ذلك صارت تحدث واحدة بعد واحدة وتلك التأليف معلومة مشهورة ومعلوم تاريخ جمعها وكتابتها هذا حديث فتح القسطنطينية رواه الامام أحمد الذى كان قبل فتحها بعثمات وكذلك نقله السيوطى فى جمع الجوامع عن البخارى فى التاريخ والحاكم فى المستدرك وكل من البخارى والحاكم كان قبل فتحها بعثمات ومعاذ الله أن ينقل تلك الاخبار فى كتبهم أتباع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنصار شريعته وتكون غير ثابتة الرواية عندهم فلولا اعتمادهم روايتها عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما حرروها فى كتبهم باقية على مدى الدهور وهم يعلمون وفور اعداء الدين المبين ومن المعلوم إن سيدنا ﴿ محمدا ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم كان من العقل فى أعلى الطبقات كما يشهد له بذلك أعداؤه وكيف يقدم عاقل ادعى منصب الرسالة من عند الله واتبعه عليه الالوف على الاخبار بتلك الامور المهمة كفتح القدس والشام والقسطنطينية وأمثالها وهو يعتقد أن ذلك لا يكون ويعرض نفسه للتكذيب والطعن فى مستقبل الزمان معاذ الله أن يقدم

عاقل على ذلك فليتأمل المنصف ثم ليعلم بعد ذلك كله أن الأخبار بالغيب ليس فى طوق البشر من رسل أو سواهم ومن ادعى علم الغيب من نفسه فقد قال العلماء إنه يكفر وانما الذى يحصل للبشر من ذلك انما هو بأعلام الله تعالى لهم وهو سبحانه عليم بما كان و بما يكون فلا اشكال فى ذلك فنحن معشر المسلمين نؤمن بوقوع الاخبار المغيبات من الرسل باعلام الله تعالى لهم عليهم الصلاة والسلام واذا أردنا أن نستوفى معجزات سيدنا ﴿محمد﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم التى أيده الله تعالى بها احتجنا الى كتابة مجلدات ولكن قد ذكرنا منها ما يكون فيه للعقول مقنع وفى الحقيقة ونفس الامر اذا نظر العاقل اللبيب فى نفس شريعته عليه السلام وما اشتملت عليه من الحكم والأسرار والمنافع الدنيوية والأخروية ونظر فى ذاته الشريفة وما خصه الله تعالى به من الشمائل والاخلاق المنيفة مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد ربى يتيما ونشأ أميا لا يقرأ ولا يكتب بين قوم أميين ما عندهم من المعارف والفنون عين ولا أثر الا ما فطرهم الله تعالى عليه من الفصاحة والبلاغة ولم يجتمع مع أهل المعارف اجتماعا يؤهله لاكتساب شىء مما جاء به وبلغه للخلق وما جاء به بحر عجاج يستغرق الاحاطة بعشره العمر المديد جزم ذلك العاقل اللبيب ان حاله عليه السلام وحال شريعته هو أمر خارق للعادة يحكم العقل بأنه معجزة أكرمه الله تعالى بها مؤيدة لدعواه ولكن هذه المعجزة لا يدركها ولا يفهم كنهها الا أهل الدقة فى النظر وأذكياء الخلق من البشر

لأن من سواهم لا يفهم الا المعجزات المحوسة بحاسة السمع والبصر مثل كلام الحجر والشجر وانشقاق القمر والله تعالى قد أيد نبيه عليه السلام بكلا النوعين من المعجزات كما يظهر مما قدمناه فى بيان معجزة القرآن الشريف وسواهامن المعجزات المنقولة فى الحديث المنيف ولنذكر الآن طرفا من بيان حال شريعته عليه الصلاة والسلام وحالته الشريفة العظيمة الشأن عسى أن ينتفع بذلك بعض أهل هذا الزمان فنقول اذا نظر العاقل المنصف فى شريعة حضرة سيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم نظر من يريد الاطلاع على الحقائق وأحاط بأسرارها على قدر الطاقة سالكا أوضح الطرائق ظهر له ظهور الشمس فى رابعة النهار أن الشريعة المحمدية تأمر بكل خير وتنهى عن شر وضير هى أنفع ما يكون للأنام على مدى الليالى والايام فيراها تامر الخلق بالاعتقاد بالعقائد الصحيحة فى حق الله تعالى بوصفه سبحانه بكل كمال يليق بشأن الألوهية وتنزيهه عن كل نقص تتعالى عنه صفة الربوبية وكذلك فى حق الرسل الكرام الذين جعلهم الله تعالى هداة الأنام من نحو اعتقاد عصمتهم من المعاصى وتنزيههم عن كل نقص يخل بمنصب الرسالة وتأمر بعبادات هى فى الحقيقة عائدة بالنفع على العباد فتأمر بالطهارة وهى مع ما اشتملت عليه من منافع النظافة والنشاط للأبدان تذكار للانسان بالتوبة التى هى طهارة المرء من الذنوب والآثام وتأمر بعبادة الصلاة وهى من أعظم المهذبات للنفس بما اشتملت

عليه من الخضوع والخشوع والركوع والسجود تعظيماً لله تعالى وفيها التوسل اليه سبحانه والضراعة لديه وسؤاله الرحمة والمغفرة والاعانة والاستعاذة من العقاب فلذلك كانت وصلة بين العبد وربه وتذكاراً له بمن هو الرقيب عليه فلو أن الانسان استغرق فى الغفلة عن مولاه بانهماكه فى أشغال دنياه لطغت نفسه وأنساه الشيطان ذكر خالقه وهوّن عليه سلوك سبيل المعاصى والشهوات ولكنه بوقوفه فى اليوم والليلة خمس مرات بين يدى مولاه مستحضراً عظمته وجلاله يلتجئ الى التوبة عما جناه وتفتر همته عما من المعاصى نواه وفى ذلك يظهر مصداق قوله تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وفى اجتماعات الصلوات من صلاة الجماعة والجمعة والعيدين تسهيل سبيل التعارف والتآلف بين المسلمين والتعاضد على نصرة الدين وألفة الاطاعة لامير المؤمنين وحكم كثيرة يقصر عنها قلم الكاتبين وتأمر بالصوم وفيه تهذيب النفس بمنعها عن شهواتها وتمرين الانسان على ردع نفسه عن المعاصى والشهوات المضرة وتذكار المرء بأحوال الفقراء والمساكين وما يجدونه من ألم الجوع ولولا الصيام لكان ربما عمر على الغنى عمره ولا يعلم ما هو ألم الجوع فلا يجد للشفقة على الفقراء فى قلبه أثراً وتأمر بالزكاة وفيها الاحسان للفقراء والضعفاء بسد حاجاتهم وتهذيب نفس الغنى وتطهيرها عن خلق البخل المذكور وتأمر بعبادة الحج وهو زيارة أماكن مخصوصة وعد الله الأمة على لسان رسوله عليه

السلام بغفران الذنوب وقبول التوبة عندها وفى ذلك اجتماع المسلمين ألوفا
مؤلفة فى تلك الاماكن وذلك يدعو الى التعارف والتآلف وفيه
تذكار ماجرى لرسل الله الكرام وعباده الصالحين فى تلك البقاع المشرفة
كتذكار ماجرى لسيدنا آدم عليه السلام ولزوجته هنالك من قبول
الانابة للمولى وماجرى لسيدنا ابراهيم الخليل ولولده اسماعيل عليهما
السلام من الامتحان واطاعتهما للرحمن وبتذكار أعمال أولئك الاخيار
وعجائب كانت لهم فى تلك الديار تنبعث الانفس لتذكار بقية أعمالهم وعباداتهم
واطاعتهم لمولاهم وتشتاق للاقتداء بهم والتخلق باخلاقهم فى كل مرضى
لخلاقهم وفيه زيارة البيت المعظم الذى سماه الله تعالى بيته وهو سبحانه غنى
عن المكان وانما ذلك منه تعالى تنزل لأفكار البشر الذين اعتادوا على
الالتجاء لبيوت ملوكهم عندما تدهمهم المصائب فالحجاج يلتجئون الى ذلك
البيت مستجيرين من مصائب الذنوب وغوائل المعاصى طالبين منه تعالى
الاجارة من بلايا الآثام راجين منه الغفران كما وعدهم على لسان سيد
الاكوان وبذلك تطمئن نفوسهم بنوال المغفرة عند امتثال ماأمروا به من
الاعمال عند تلك الامكنة الطاهرة الى غير ذلك من الحكم والاسرار التى
يضيق عنها هذا الكتاب المختصر فليرجع بذلك الى كتب الشريعة الغراء
المتكفلة بمزيد البيان وتأمر تلك الشريعة بكل عمل حسن وتنهى عن كل
فعل قبيح مضر بالجسد أو العقل أو العرض أو المال وتأمر بالاخلاق المحمودة

كالحلم والصبر والرضاء والرحمة والشفقة وتنهى عن كل خلق ذميم كالكبر والحسد والبغضاء والحقد حتى أنها ما تركت أمراً حسناً الا أمرت به وحضت عليه ولا أمراً قبيحاً الا حذرت منه ونهت عنه وقد جعلت لبعض المنهيات الظاهرة الضرر عقوبات وحدود الاجل الزجر عنها كمثل قتل النفس ظلماً الذي قبحه لا يحتاج الى بيان ومثل الزنا الذي يقتضي اختلاط الانساب وفقد التناصر وكشرب الخمر الذي يزيل العقل ويؤهل الانسان لارتكاب كل قبيح وكل ذلك ينطوي تحته حكم بديعة وأسرار رفيعة تعلم من الاطلاع على كتب هذه الشريعة وكذلك لم تدع باباً من أبواب المعاملات والسياسات البشرية الا وضعت له قواعد وشرعت له أصولاً ينتظم بها أمر المعاش بين البشر ويستوفي بها كل من القوى والضعيف حقه فبينت أصول البيوع والشركات والأنكحة والمواريث والمعاهدات وكيفية الاطاعة لولاة الامر وكل ما يقوم به صلاح الامة من كلي وجزئي يعلم ذلك من الاطلاع على كتب الفقه أصولاً وفروعاً فاتيان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بهذه الشريعة التي تعجز عن الاتيان بها أكبر العلماء وأحذق الاذكياء وأكبر السياسيين الممارسين سياسة الأمم مع انه عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يتفق له تعلم من أحد البشر في مدة حياته هو معجزة خارقة للعادة ودليل على أن تلك الشريعة من عند الله تعالى أرسله بها سبحانه لارشاد الخلق الى الحق أما كونه عليه السلام أمياً لا يقرأ ولا يكتب

فهو أمر مشهور متواتر بالتواتر الصحيح الذى جاءت به المئات والالوف
من العدول الثقاة وقد صرح به فى القرآن الشريف فى عدة آيات والقرآن
يتلى على رؤس الاشهاد من زمنه عليه السلام الى يومنا هذا ولم ينكر كونه
أميا أحد من قومه ولا أحد وجد بعد زمانه قال الله تعالى فى القرآن الكريم
وما كنت تتلو (من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون)
وأما انه عليه السلام لم يتفق له التعلم من أحد من الناس فلأنه نشأ بين قومه
فى مكة مشهورا معروفا بينهم لانه من ذوى البيوت وأصحاب الحسب ومثله
لا يجهل فى بلدته وقومه أميون لم يوجد بينهم من يعرف القراءة والكتابة الا
القليل وأما من يكون محيطا بعدة معارف ومطلعا على سياسات البشر
وقوانين الامم بحيث يؤهله ذلك لترتيب مثل هذه الشريعة التى جاء بها
الرسول عليه السلام فلم يكن موجودا بينهم لا منهم ولا من سواهم اذ مثل هذا
لا يخفى وجوده فى بلدة مثل مكة وكان يغدو مشهورا بين الخاص والعام ولو
قصد أن يخفى نفسه لعسر عليه ذلك وأيضا أن تعلم الرسول عليه السلام تلك
الشريعة من مثل هذا الانسان المفروض لا يكون فى مجلس أو مجلسين
بل يحتاج الى أعوام وأن يتردد عليه فى كثير من الليالى والايام فليس من
الممكن عادة أن يخفى تعلمه منه على جميع أهل بلده مهما تحرى ذلك واجتهد
فيه وقد كان بعض المشركين تمسكوا بمثل هذه الشبهة وصاروا يقولون إن
﴿ محمدا ﴾ يتعلم القرآن من فلان وذكروا رجلا أعجميا كان بينهم

فافتضحوا بهذه الدعوى الواضحة البطلان حيث نسبوا تعلم القرآن الذى هو فى أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة العربيتين الى رجل أعجمى ليس عنده أدنى فصاحة ولا أقل بلاغة توجد فى اللسان العربى وقد رد الله تعالى عليهم هذه الشبهة فى كتابه المجيد فقال سبحانه (لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) وان قيل ربما أن ﴿ محمدا ﴾ عليه السلام تعلم تلك الشريعة من أحد الناس خارج مكة فى بعض البلاد الشامية التى روى انه سافر اليها قبل دعوى الرسالة مع جملة من التجار قلنا ان الذى ثبت نقله وصحت روايته أنه عليه السلام ما غاب عن مكة فى البلاد الشامية الا عدة أيام تبلغ الشهرين أو الثلاثة هى مدة الذهاب والرجوع وقضاء مصالح التجار الذين سافر معهم وتلك المعارف التى ظهرت فى شريعته يحتاج تعلمها الى شهور وأعوام وليال كثيرة وأيام ولو كان المعلم من أبرع المعلمين والمتعلم من أزكى المتعلمين فأى عاقل يصدق أنه عليه السلام تعلم جميع تلك المعارف فى تلك الايام القلائل التى غاب فيها عن بلده مكة وهو رجل أمى لا يقرأ ولا يكتب وتلك المدة لا تكفى لتعلم باب واحد من أبواب تلك الشريعة ولو كان المتعلم كاتبا قارئا على أن الرسول عليه السلام ما جاء بتلك الشريعة وأظهرها للناس دفعة واحدة من أول دعواه الرسالة بل كان يأتى بذلك مفرقا موزعا على الازمنة من أول دعواه الى أن تم دينه وانتشر بين الأمم الذين اتبعوه فى مدة اثنتين وعشرين سنة فكان يبلغ أحكام شريعته

وجميع مشتملاتها للناس شيأ بعد شيء على حسب المقتضيات والمصالح والحوادث والمشاكل والسؤالات والشبه الواردة من اختصاصه فيأتي في مقابلة كل شيء بما يطابقه وفق المرغوب وهذه الكيفية معلومة لنا بالضرورة بما نقل من سيرته وكيفية تمام أمره نقلا صحيحا متواترا وحينئذ يقال ما الذي أعلم ذلك المعلم الذي يدعي الخصم أنه علم الرسول عليه السلام بجميع الحوادث المستقبلة التي سوف تقع وتتفق له بينه وبين أخصامه أو اتباعه سواء قيل إن ذلك المعلم من نفس مكة أو من خارجها فعلمه قبل دعواه الرسالة جميع ما يناسب الحوادث التي سوف تحدث معه في مدة دعواه فعرف جواب كل سؤال سوف يرد عليه ودفع لكل شبهة وحكم كل حادثة وحل كل مشكلة وصار عليه السلام يورد لكل شيء ما يناسبه ويجب له في وقته مسددا مقنعا للافكار وإنا نرى من تلك الحوادث مالا يخطر في بال أحد أنه سوف يقع أو يتفق وقوعه الى آخر الزمان ومن يطلع على ما حدث من الحوادث في مدة دعواه الرسالة يعلم أن احاطة أحد بجميع ما سوف يحدث في تلك المدة واستحضار ما يلزم له هو من المحال عادة ولا يقول به الامكابر وقد كان عليه السلام في أكثر أحواله يرد عليه السؤال أو الشبهة ويجيب عن ذلك في مجلسه في الملاء العام بين جماهير اصحابه وأعدائه المشركين ولم يشاهد أحد حينئذ أنه يلتفت الى واحد من الحاضرين ويسأله متعلما منه ما يلزم له من الجواب أو يضطر اليه من

الخطاب بل هو المجيب والمدافع والمفيد والمعلم، كل من لديه تلامذة متعلمون فأين هذا المعلم للرسول الذى يزعمه الخصم ماهذا الزعم الا افتراء بارد فقد ظهر الحق لذوى الانصاف وتبين ان اتيان سيدنا ﴿ محمد ﴾ الأمى بهذه الشريعة الغراء معجزة من معجزاته وأن دعوى تعلمه من أحد من البشر هى دعوى باطلة لايقول بها الا كل جاهل بأحوال سيرته وتاريخ حياته أو معاند مكابر للحق هدانا الله تعالى الى مافيه النجاة آمين

وأما حاله عليه الصلاة والسلام فى ذاته الشريفة وأخلاقه وشمائله المنيفة فقد نقل لنا العدول وصح لنا الأخبار البالغة بكثرتها درجة التواتر أن سيدنا (محمدا) صلى الله عليه تعالى عليه وسلم قد وهبه الله تعالى المحاسن خلقا وخلقا وجمع الله تعالى فيه الفضائل الدينية والدنوية أما حسن صورته وخلقته فقد ثبت النقل الصحيح أنه عليه السلام كان أحسن الناس صورة وأجملهم خلقة فكان على مايرام من المحاسن والجمال الباهر كما قال فيه بعض واصفيه

وأحسن منك لم ترقط عينى * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

وقد أفردت محاسن ذاته الشريفة بالتآليف فليتشرف بالاطلاع عليها من أراد وأجمع ماوصفه به الواصفون قول بعض من شاهده عليه السلام هو أجمل الناس من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر

قبله ولا بعده مثله وتخصيص الله تعالى له بحسن الصورة هو من جملة الحكم
الالهية فان الله تعالى بعثه داعيا للخلق وحسن الصورة مما تألفه الانفس
وتلذ به الاعين فتقبل عليه كما أن قبح الصورة منفر مشرد وأما وفور عقله
عليه السلام وذكاء لبه فقد صحت الأخبار وتواردت النقول أنه كان عليه
السلام أعقل الناس وأذكاهم ومن نظر الى تدبيره أمور بواطن الخلق
وظواهرهم وسياسة الخاصة والعامة وتأليفه أجلاف البوادى واخشان
الجبال وتهذيبه لهم حتى أصبحوا من أكمل الناس أدبا ومعرفة وسيرة فضلا
عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سابق ولا ممارسة تقدمت لم
يشك فى رجحان عقله وثقوب فهمه عليه السلام لاول بديهة وهذا لا يحتاج
الى تقرير الدليل لتحققه بالمشاهدة فى عصره وتواتره بعد ذلك بين طوائف
العالم وقد أعطى عليه السلام جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وأفرد
الناس جوامع كلمه وبدائع حكمه بالتاليف فمن ذلك قوله عليه السلام
المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وقوله
لا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له وقوله ما هلك امرؤ عرف نفسه
وقوله المستشار مؤتمن وهو بالخيار حتى يتكلم وقوله رحم الله عبدا قال
خيرا فغنم أو سكت فسلم وقوله ان أحبكم الى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة
أحاسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله ذو
الوجهين لا يكون عند الله وجيها وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة

الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقوله خير الامور أوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وقوله السعيد من وعظ بغيره الى غير ذلك من جواهر الكلام وجوامعه وبديع الحكم التى يقصر عن استيفائها القلم وأما حلمه عليه السلام وعفوه وصبره فقد كان فى الدرجة العليا من هذه الاخلاق فقد صح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما انتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها ولما آذاه المشركون أشد الأذى قيل له لو دعوت عليهم فقال إنى لم أبعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة أللهم أهد قومى فانهم لا يعلمون نعم أخذ يدعو على القبائل التى غدرت بجملة من قراء الصحابة وقتلهم ظلما غيرة منه عليه السلام على حرمة الله التى انتهكت فى قتل أولئك المؤمنين المظلومين ولما أنزل الله تعالى عليه ليس لك من الأمر شيء كف عن الدعاء عليهم وفوض الأمر اليه تعالى وكم هم أناس بقتله غدرا وقبض عليهم فعفى عنهم وكم جافاه أجلاف العرب فلاطفهم فهو كما نقل وصفه فى الكتب القديمة انه لا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما وكم صبر على مقاساة قريش وصابر الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون فى إهلاكه لهم عن آخرهم فما زاد على ان عفا وصفح عنهم وقال أقول كما قال أخى يوسف (لا تثريب عليكم اليوم) إذهبوا فأنتم الطلقاء والآثار فى ذلك كثيرة وكلها تدل على انه عليه الصلاة والسلام كان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضى وأما جوده وسخاؤه وسماحته

عليه السلام فقد كان بحرا اذا تحرا في هذه الاخلاق الكريمة فما روى ان رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه وقال اسلموا فان ﴿محمد﴾ يعطى عطاء من لا يخشى فاقة وأعطى غير واحد مائة من الابل ورد على هوازن سباياهم وكانوا ستة آلاف وقوّم ماوهبه لهوازن فكان خمسمائة ألف ألف والروايات في ذلك أكثر من إن تحصى وأما شجاعته ونجدته عليه الصلاة والسلام فقد كان منهما بالمكان الذى لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح قال على رضى الله تعالى عنه كنا إذا حمى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدوّ منه وأما حياؤه واغضاؤه فقد كان عليه الصلاة والسلام أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات اغضاء فكان لا يشافه أحدا بما يكره حياء وكرم نفس حتى كان اذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمى فاعله ولم يكن عليه الصلاة والسلام فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة وأما حسن عشرته وأدابه وبسط خلقه مع أصناف الخلق فهو أمر مشهور فورد أنه كان أوسع الناس صدرا وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة وكان يؤلف المسلمين ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم يتفقد أصحابه ويعطى كل جليس نصيبه ولا

يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه صبر على
سؤاله وذكر حوائجه حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة
لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا
وصاروا عنده في الحق سواء كان دائم البشر سهل الخلق ليس بفظ ولا
غليظ ولا صخاب ولا عياب ولا فحاش ولا مداح وكان يجيب من دعاه ويقبل
الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال أنس رضي الله تعالى عنه خدمت
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين فما قال أف قط وما قال لشيء صنعته
لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته ولا دعاه أحد من أصحابه أو من أهل بيته
إلا قال لبيك وكان يمازح أصحابه ولا يقول في مزاحه إلا حقا ويخالطهم
ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر
والأمة والمسكين في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وما أخذ أحد بيده
فيرسله بيده حتى يرسلها الآخذ ولم ير مقدما ركبته بين يدي جليس له
ويبتدئ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ويكرم من يدخل عليه
وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة ويعزم عليه بالجلوس عليها ان أبى
ويدعو أصحابه بأحب أسمائهم اليهم وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلي
الا خفف صلاته وسأله عن حاجته واذا فرغ عاد الى صلاته وروى عن أنس
رضي الله تعالى عنه أنه قال كان خدمة المدينة يأتون رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم إذا صلى الغداة أي الصبح فما يؤتى بآنية إلا غمس يده فيها

وربما كان ذلك فى الغداة الباردة يريدون التبرك به وأما شفقته ورحمته
على أمتـه فذلك أمر مشهور وشواهده لاتحصى وقد كان يسمع بكاء الصبى
فيتجوز فى صلاته رحمة بأمه ويكفى بالدلالة على ذلك انه ماخير بين أمرين
الا اختار أيسرهما فجزاه الله تعالى عنا كل خير وأما خلقه بالوفاء وحسن
العهد وصلة الرحم فهو شهير موفور وقد روى انه وفد عليه وفد النجاشى ملك
الحبشة الذى كان قـد هاجر الى بلاده جملة من الصحابة فأكرم مثواهم فقام
صلى الله تعالى عليه وسلم يخدم أولئك الوفد بنفسه فقال أصحابه نكفيك فقال
إنهـم كانوا لأصحابنا مكرمين وانى أحب ان أكافئهم وأقبل أبوه من الرضاعة
فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه
فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام فأجلسه بين يديه وقد ورد فى
صفته صـلى الله تعالى عليه وسلم أنه يصل الرحم ويحمـل الـكل ويقرى
الضيف ويكسب المعدوم ويعين على نوائب الحق وأما تواضعه عليه الصلاة
والسلام مع علو منصبه ورفعة رتبته فـكان أعظم الناس تواضعا واعدمهم كبرا
كان يقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان
يركب الحمـار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب
دعوة العبد ويجلس مع أصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به المجلس جلس وكان
يدعى الى خبز الشعير فيجيب ويأكل مع الخادم وحج على رحل رث وعليه
كساء من صوف لايساوى أربعة دراهم وقد أهدى فى ذلك الحج مائة بدنة

وكان فى بيته فى مهنة أهله يحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويكنس البيت ويعلف البعير ويخدم نفسه ويحمل مايشترى من السوق مع كثرة عبيده وخدمه وتشوق الناس لخدمته لكنه يحب فعل ذلك تواضعا وتشريعا وأما عدله وعفته وصدق لهجته صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كان أعدل الناس وأعفهم وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك أعداؤه وكان يتحاكم اليه فى الجاهلية قبل الاسلام ووردأنه مالمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها وماخير فى أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وقد جزء نهاره ثلاثة أجزاء جزأ العبادة ربه وجزأ لمصالح أهله وجزأ لنفسه ثم جزء جزءه بينه وبين الناس وكان يقول أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغى فانه من أبلغ حاجة من لا يستطيع أمنه الله يوم الفزع الاكبر وقد كان معروفا بالصدق بين قومه من أول نشأته حتى دعوه ﴿ بمحمد ﴾ الامين وقال بعض المشركين بعد بعثته إنا لانكذبك ولكن نكذب ماجئت به فأنزل الله تعالى فى القرآن المجيد قوله تعالى (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وأما وقاره وصمته وحسن هديه صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كان أوقر الناس فى مجلسه لا يكاد يخرج شئ من أطرافه وكان كثير السكوت لايتكلم من غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلالا فضول فيه وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيراله واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء

وخير وامانة اذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤسهم الطير وكان أحسن
الهدى هديه وكان سكوته على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
وأما زهده في الدنيا فحسبنا منه تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت
اليه بجملتها وترادفت عليه فتوحاتها بما يسر الله له من الغنائم والاموال
والأرزاق الواسعة الطيبة بحيث لو أراد لتوسع فيها واقتطف زهرتها فلم
يرضها واكتفى بأقل قليل منها وحسبنا ما ورد أنه ما شبع من خبز شعير
يومين متواليين وما ترك دينارا ولا شاة ولا بعيرا ولم يترك الا سلاحه وبغلته
وأرضا جعلها صدقة وقد كان فراشه جلدا مدبوغا وحشوه ليف وكان
ينام أحيانا على سرير من خوص النخل حتى يؤثر بجنبه الشريف عليه
الصلاة والسلام وكان يبات جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه
ذلك عن صيام يومه ولو شاء لجمع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها قالت
احدى نسائه كنت أبكي رحمة له مما أراه وأمسح بيدي على بطنه مما به
من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغ من الدنيا بما يقوتك فيقول مالي
وللدنيا إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا
فضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فاستحي
من الله ان ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو أحب
الي من اللحوق باخواني وأخلائي واذا أردنا استيفاء جميع أخلاقه الجيدة
وعموم صفاته الجيدة احتجنا الى تطويل لا يحتمله هذا الكتاب المراعى فيه

الاختصار و بما ذكرناه يظهر للعاقل المنصف المتدبر أن اختصاصه عليه السلام بتلك المحاسن وتحليته بهذه المكارم مع انه تربى يتيما بين أمة جاهلية تغلب عليهم القسوة والجور وخشونة الطباع وعدم التهذيب ما كان ذلك الا بمحض عناية من الله تعالى به واقامته بمنصب رفيع ومقام جليل ومن تكون فيه تلك الصفات الكاملة والاخلاق الفاضلة والعقل الثاقب والرأى الصائب ما كان ليتلبس بصفة الكذب والاحتيال و يخدع الناس بزخارف المحال و يدعى افتراء على الله تعالى أنه رسوله قد اختاره واصطفاه على من سواه إنا نرى العاقل مناىمنعه عقله و يأبى عليه ضميره أن يكذب كذبة واحدة على رجل مثله أودونه وتأنف نفسه الشريفة أن يقدم على ذلك ولو اضطره الحال فكيف أن من كان عقله فى أعلى درجات الكمال وهو متصف بأشرف الخصال يقدم بالكذب على الاله الكبير المتعال و يمارس ذلك على ممر الأيام والليالى معاذ الله أن يقدم على ذلك من له أدنى عقل وأقل كمال ثم الغريب من أحوال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكل أحواله غريبة وهو دليل على صدقه واعانة الله تعالى له أنه قلب حال الامة التى قام بينها وهى أمة جاهلية مغموسة فى بحار الجهالات والضلالات فى العبادات والعادات فرفعها من حضيض الرذائل الى أوج الفضائل فبدل جورها بالانصاف وخشونتها باللين وجهلها بالعلم والمعرفة وعداوتها بالمحبة والألفة ومحاربتها الجورية بالسلام والأمان وشقاءها بالنعيم وضلالها بالهدى الى الصراط

المستقيم وعصيانها بالطاعة وفرقتها بالجماعة وضعفها بالقوة وخيانتها بالأمانة وفحشها بالعفة والصيانة وقد كان عندها من حميد الشمائل الكرم ولكنه مشوب بالتبذير والاسراف والشجاعة ولكنها معلومة بالجور والاعتساف فعدل عليه الصلاة والسلام خصالها وهذب اخلاقها حتى أصبحت خير الأمم وأكرم العالم وسرى ذلك الى الأمم الأخرى التي اعتنقت دينه المبين فأصبحوا من خيار الصالحين وكل ذلك جرى على يديه عليه الصلاة والسلام بواسطة شريعته التي هي منهج السعادة وبحسن سيرته وصفاء اخلاقه وكمال سياسته ولاشك أن ذلك منه كان أمراً خارقاً للعادة يعد من أعظم المعجزات عند ذوي الانصاف وقد اشتبه على بعض الاجانب عن الدين المحمدي لما رأوا ان الجهاد مشروع فيه فظنوا أن هذا الدين ما تم أمره الا بالسيف والارهاب وهي شبهة باطلة علقت في فكر من لم يطلع على سيرة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأول نشأته وقيام دينه المبين وأما من عرف ذلك فلا يجد لهذه الشبهة عيناً ولا أثراً وبيان ذلك أن الذي ثبت نقله نقلاً صحيحاً في سيرته عليه السلام وبدء أمره أنه لما قام في دعوى الرسالة في مكة المكرمة كان وحيداً فريداً ليس صاحب سلطان ولا معتمداً على عصبة عشيرة بل إنه عند قيامه بتلك الدعوى بين جماهير الامم كان أول مكذب له عشيرته وعادوه أشد المعادات وسلطوا عليه اشرارهم بالاذى والاضرار وهو ملتزم طريق الهداية والارشاد فصار يقيم البراهين على صدق دعواه ويورد المواعظ ويؤلف

القلوب بكل ممكن و يأمر بأوامر شريعته المورثة الخير و ينهى بنواهيها عن كل مايورث الضير ومضى له على ذلك مدة تبلغ عشر سنوات وهو مقيم فى مكة ولم يأمر باراقة قطرة دم لأعدائه بل يتلوا قرآنه المشتمل على قوله تعالى (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) وقوله فى خطاب من اتبعه (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وقوله (ومن كفر فعليه كفره) الى غير ذلك من الآيات وهاجر من مكة الى المدينة وهو ملتزم لهذه الطريقة مدة من اقامته فى المدينة وقد اتبعه مع تلك الحال والطريقة الجم الغفير من أهل مكة وأهل المدينة وطوائف العرب كما يعلم من مراجعة سيرته وقبلت شرعه العقول السليمة واستحسنته الطباع الصحيحة ولا خوف هنالك ولا ترهيب لكن لما ظهر للعقول السليمة والانظار القويمة أن المخالفين الذين لم يتبعوه عليه السلام لا يعمل معهم البرهان ولا تنفع فيهم الموعظة ولا يثمر لديهم الارشاد بل هم فضلا عن ضلالهم وغشهم لأنفسهم بعدم قبول الدين الحق وسلوك سبيل الاستقامة لا يفترون عن اذاه عليه السلام واذى اتباعه كلما سنحت لهم الفرصة ينصبون لهم المكائد و يقيمون فى سبيل دينهم المعاثر و يخترعون لهم بدائع الاضرار و يعاملونهم معاملة الأشرار و وجد أن دوام المعاملة بالرفق لأولئك المخالفين يزيد طغيانهم و يشوش أمر الدين على اتباعه أذن الله تعالى له عند ذلك بجهاد الاعداء والاخصام الالداء والاغرار البلداء استبدالا للترغيب مع هؤلاء الاشرار بالترهيب ودفعا

للاذى والفساد وقطع جرثومة العناد اذ قد يسمح بالاشرار لسلامة الاخيار ويقطع العضو المريض لوقاية صاحبه من البوار ولكن شرع الله ذلك الجهاد فى شريعة سيدنا ﴿ محمد ﴾ عليه السلام على حدود تبقى للرفق مجالا وللشفقة والعدل منالا حتى لو قوبل جهاده مع الجهاد المشروع فى الشرائع المتقدمة كشريعة سيدنا موسى عليه السلام لوجد أن فى جهاد شريعة سيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم تخفيفات لم توجد فى سواه يعلم ذلك من الاطلاع على شؤون الشريعتين وفيما قررناه ظهر أن تلك الشبهة التى يزعم صاحبها أن الدين المحمدى قام بالسيف هى شبهة ظاهرة البطلان مهدومة الاركان والحق الحقيق بالقبول أنه ما كان أساس الهدى والسعادة لنا ولاسلافنا الا بنور شريعة سيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم وبهديه وارشاده فجزاه الله تعالى عنا خير الجزاء ورفع درجته فى أعلى عليين فعلينا معشر المسلمين مداومة محبته وتعظيم جنابه الشريف وفداءه بالأرواح ومن محبته عليه السلام تعظيم شرعه واطاعة أوامره واجتناب نواهيه كما قيل ان المحب لمن يحب مطيع وأما الشخص الذى يدعى محبته وهو مخالف لشرعه فحاله يكون مكذبا لدعواه وشاهدا عليه بخبث الطوية ومن محبته عليه الصلاة والسلام محبة أهل بيته وعترته وتعظيم حملة شريعته واكرامهم والاحسان اليهم ومن كمال محبته عليه الصلاة والسلام معرفة نسبه الشريف من جهة أبيه ومن جهة أمه حتى قال بعض العلماء بوجوب

ذلك فأما نسبه من جهة أبيه فهو سيدنا ﴿ محمد ﴾ بن عبد الله * بن عبد المطلب بن هاشم * بن عبد مناف * بن قصى * بن حكيم * بن مرة * بن كعب * بن لؤى * بن غالب * بن فهر * بن مالك * ابن النضر * بن كنانة * بن خزيمة * بن مدركة * بن إلياس * ابن مضر * بن نذار * بن معد * بن عدنان * وليس فيما بعده الى آدم عليه الصلاة والسلام نقل صحيح وأما نسبه صلى الله عليه تعالى وسلم من جهة أمه فهو سيدنا ﴿ محمد ﴾ بن آمنة بنت وهب * بن عبد مناف * بن زهرة بن حكيم فيجتمع معه عليه السلام فى جده حكيم ومن كمال محبته عليه السلام معرفة أسماء أولاده رضى الله تعالى عنهم وهم سبعة على الصحيح سيدنا القاسم * وسيدتنا زينب * وسيدتنا رقية * وسيدتنا فاطمة * وسيدتنا أم كلثوم * وسيدنا عبد الله وهو الملقب بالطيب الطاهر وسيدنا ابراهيم * وكلهم من سيدتنا خديجة الكبرى رضى الله تعالى عنها الا سيدنا ابراهيم فمن مارية القبطية

ومن حسن الأدب مع حضرته عليه الصلاة والسلام اعتقاد نجاة أبويه إما بالاعتماد على قول من يقول بنجاة أهل الفترة الذين كانوا قبل بعثة الرسول عليه السلام وهما من جملتهم وإما بالاعتماد على ماورد فى بعض الآثار إن الله تعالى أحياهما له حتى آمنا به وذلك جائز داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى واعلم أنه قد دلت النصوص الشرعية وانعقد اجماع الامة المحمدية على أن

سيدنا ﴿محمدا﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث من الله تعالى الى الناس كافة بل الى الثقلين الانس والجن لا الى العرب خاصة كما زعمه بعض الكفار وانعقد اجماع الامة أيضا على أنه خاتم الأنبياء والمرسلين لا نبي بعده فشرعه عليه السلام لا ينسخ الى آخر الزمان أى لا يرفع بشرع سواه وسيدنا عيسى عليه السلام عند نزوله الى الارض فى آخر الزمان انما يحكم بشرع نبينا عليه السلام لا بشرع جديد وعدم قبول سيدنا عيسى للجزية هو من جملة شرع نبينا لأن قبول الجزية فى الشرع المحمدى غايته الى نزول عيسى عليه السلام وقد انعقد الاجماع أيضا على أن شرع نبينا ناسخ لسائر الشرائع المتقدمة أى ناسخ أكثر أحكامها غير العقائد منها وأما العقائد كالايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فهى ثابتة فى سائر الشرائع وحكمة نسخ شريعة بأخرى هى اختلاف المصالح بحسب الأزمنة مثلا المصلحة فى زمن الامم السابقة اقتضت تكليفهم بشرائعهم والمصلحة فى زماننا الى آخر الدهر اقتضت تكليفنا بشريعة نبينا وبهذا ظهر سقوط شبهة من يقول من الكفار إنه يلزم على القول بالنسخ ظهور مصلحة كانت خفية على الله تعالى اذ يقال له إن الله تعالى من الازل عالم بمصلحة كل أمة وزمانها فرتب قديما لكل أمة شريعة وأرسل رسولا بكل منها وجعل المتأخرة ناسخة للمتقدمة فأين الخفاء على الله تعالى وانعقد الاجماع أيضا على أن نبينا عليه الصلاة والسلام أفضل الخلق أجمعين لا يفضله أحد من

مخلوقات الله تعالى ثم الراجح عند العلماء أن الافضل بعد نبينا سيدنا ابراهيم
ثم سيدنا موسى ثم سيدنا عيسى ثم سيدنا نوح وهؤلاء الاربعة مع نبينا هم
أولو العزم من الرسل ثم بقية الرسل ثم الانبياء غير الرسل وهم متفاضلون
فيما بينهم عند الله تعالى ثم سيدنا جبريل ثم سيدنا ميكائيل من الملائكة ثم بقية
رؤساء الملائكة ثم عوام البشر والمقصود منهم أولياؤهم غير الأنبياء كأبي
بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ثم عوام الملائكة وقد ثبت في الأحاديث
النبوية أن قرنه عليه الصلاة والسلام أي أصحابه هم خير القرون المتقدمة
والمتأخرة ما عدا الأنبياء والرسل والصحابي هو من اجتمع بالرسول عليه
الصلاة والسلام مؤمنا به ومات على ذلك وأفضل أصحابه عليه الصلاة
والسلام خلفاؤه الأربعة على ترتيب خلافتهم فأولهم في الفضل أبو بكر
الصديق ثم سيدنا عمر بن الخطاب ثم سيدنا عثمان بن عفان ثم سيدنا علي بن
أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وأفضل القرون بعد قرنه عليه الصلاة
والسلام قرن التابعين وهم الذين اجتمعوا بالصحابة اجتماعا متعارفا ثم قرن
اتباع التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ومما انعقد عليه اجماع الأمة ان
النبوة خصيصة من الله تعالى لا تكون مكتسبة للعبد ويفسرونها
باختصاص العبد بسماع وحي من الله تعالى بحكم شرعي تكليفي سواء أمر
بتبليغه أم لا وكذلك الرسالة لكن بشرط أن يؤمر بالتبليغ وأما الولاية
فالأظهر عند العلماء فيها التفصيل فمنها ما هو مكتسب وهو امتثال المأمورات

واجتناب المنهيات وتسمى الولاية العامة ومنها ما هو غير مكتسب وهو العطايا الربانية كالعلم اللدني ورؤية اللوح المحفوظ وغير ذلك

ولنختم مبحث المعجزات ببيان بقية خوارق العادات فنقول قد علمت أن الأمر الخارق للعادة اذا ظهر على يد مدعي الرسالة من عند الله تعالى أو النبوة يسمى معجزة فأما اذا ظهر للرسول قبل دعواه النبوة أو الرسالة كما ورد أن سيدنا ﴿محمدا﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم كانت تظلله الغمامة قبل ارسال الله تعالى له وادعائه الرسالة فيسمى هذا ارهاصا أي تأسيسا للرسالة وأما إذا ظهر الأمر الخارق للعادة على يد ظاهر الصلاح والعدالة وليس عنده دعوى النبوة والرسالة فيسمى كرامة ونحن معشر المسلمين من أهل السنة والجماعة نؤمن بكرامات الأولياء لورود النصوص الشرعية بذلك ونقل الأخبار الكثيرة بوقوع خوارق العادات للكثير من الصالحين أكرمهم الله تعالى بها لأجل أن يحترموا بين الناس أو ليقبل ارشادهم وموعظتهم اذا أقامهم الله تعالى في مقام الارشاد أو لتفريج كروبهم وقضاء مصالحهم اذا احتاجوا الى ذلك وكل ذلك فضل من الله سبحانه وتعالى عليهم ولا يجب عليه تعالى شيء من ذلك والأولياء جمع ولي وهو العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الامكان المواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي بمعنى إنه إذا ارتكب معصية بادر الى التوبة وليس المراد انه لاتقع منه معصية إذ ليس هو معصوما المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة

وأما أصل التناول للذات المباحة فلا مانع منه لاسيما اذا كان بقصد التقوى على طاعة الله تعالى وأما إذا ظهر الأمر الخارق للعادة على يد مستور الحال لا ظاهر الصلاح ولا ظاهر الفسق فيسمى معونة أى إعانة من جانب الله تعالى وأما اذا ظهر على يد ظاهر الفسق فيسمى استدراجا بمعنى أن الله استدرجه باظهار ذلك على يده فيتمادى بفسقه ثم اذا أخذه الله تعالى لم يفلته والعياذ بالله تعالى وهذه الاقسام الخمسة من خوارق العادة تكون على وفق مقصد من تظهر على يديه وبقى قسم آخر وهو ان يقع الأمر الخارق للعادة للمرء على خلاف ما يطلبه كما روى أن مسيلمة الكذاب الذى ادعى الرسالة فى زمن نبينا عليه الصلاة والسلام قد بصق فى عين رجل لتشفى فعميت الأخرى ويسمى هذا القسم من خوارق العادة خذلانا أى تكذيبا وخزيا من الله تعالى لذلك الكاذب ولا اشتباه بين هذه الاقسام وبين المعجزة لان المعجزة مقرونة بدعوى الرسالة أو النبوة كما تقدم موافقة لمقصد من تظهر على يديه وغيرها ليس كذلك كما انه لا اشتباه بين الكرامة التى تظهر على يد ظاهر الصلاح غير مدعى الرسالة أو النبوة موافقة لمطلبه وبين بقية الاقسام والله تعالى أعلم

﴿ الفصل الرابع ﴾

(فى بيان الايمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام)
(والايمان بالكتب المنزلة من عند الله تعالى)
(على رسله والقضاء والقدر)

اعلم انه يجب على كل مكلف شرعا الايمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام وهو ان يعتقد اعتقادا جازما بوجودهم وأنهم عباد الله المؤمنون به المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقد وردت النصوص الشرعية بجميع ذلك وحقيقتهم عند أكثر المسلمين أنهم أجسام لطيفة أعطاهم الله تعالى القدرة على التشكل بأشكال مختلفة مسكنهم السموات وقد وردت النصوص الشرعية بما يفيد أنهم أقسام فنهم حملة العرش ومنهم الحافون حول العرش ومنهم أكابر الملائكة كجبريل وميكائيل واسرافيل ومنهم ملائكة الجنة ومنهم ملائكة النار ومنهم الموكلون ببنى آدم ومنهم كتبة الأعمال ومنهم الموكلون بأحوال هذا العالم بالتدبير ومنهم رسل الله الى أنبيائه بالوحى ودلت النصوص أيضا على انهم قادرون على الاعمال الشاقة العظيمة التى يعجز عنها ألوف البشر بل جميع البشر الى غير ذلك مما ورد فى حقهم فى القرآن والأحاديث وقد اتفق أئمة المسلمين كما يؤخذ من الشفاء الشريف على

عصمة المرسلين منهم بالوحي الى أنبياء البشر كما عصم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولكن اختلف العلماء في عصمة غير المرسلين من الملائكة وقال الفخر الرازي والجمهور الاعظم من علماء الدين على عصمة الملائكة عن جميع الذنوب وقد تمسك المخالفون في عصمتهم بأمور منها أن ابليس كان من الملائكة فعصى الله تعالى وكفر ونحن نقول إن ابليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة كما حققه الامام الرازي وغيره من العلماء ومنها قصة هاروت وماروت ونحن نقول أما الآية التي وردت فيهما وهي قوله تعالى (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) فالذي تلخص من كلام الامام الرازي في تفسيره أن السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت أبوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة ويجعلون تلك الاعمال السحرية معجزاتهم فبعث الله تعالى هذين الملكين لأجل أن يعلما الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك السحرة الذين يدعون النبوّة كذبا ولا شك أن هذا من أحسن المقاصد فهذان الملكان كانا لا يعلمان أحدا السحر حتى يبذلا النصيحة فيقولا له انما نحن فتنة أي محنة يتميز بها المطيع من العاصي فهذا الذي نصفه لك من السحر وان كان القصد منه أن يظهر به الفرق بين

السحر وبين المعجزة ولكنه يمكنك أن تتوصل به الى المفاسد والمعاصى فإياك بعد وقوفك عليه أن تستعمله فيما نهيت عنه أو تتوصل به الى شئ من الاغراض العاجلة ثم إن القوم تعلموا منهما السحر واستعملوه فى الشر وايقاع الفرقة بين المرء وزوجه ثم قال الرازى واتفق المحققون على أن العلم بالسحر غير قبيح ولا محظور يعنى وانما المحظور العمل به وتقرير الآية بهذا الوجه لا إشكال فيه ولا يدل على معصية الملكين المذكورين كما هو ظاهر بل يكونان قد امتثلا أمر الله تعالى فى التعليم كما لا إشكال فى أنه كيف ينزل الله تعالى عليهما السحر المنهى عنه لان المحرم هو العمل به لا تعلمه لأجل مقصد حسن حكيم وأما ما روى من ان هذين الملكين قد مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها الزهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فنقول ان هذه القصة قد اختلف العلماء فى صحة نقلها فقال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره إن هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة لأنه ليس فى كتاب الله تعالى ما يدل على ذلك بل فيها ما يبطلها من وجوه ثم بين تلك الوجوه وقال الامام البيضاوى عن هذه الرواية إنها محكية عن اليهود وقال أبو السعود فى تفسيره إنها مما لا يعول عليه لان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل وقال القاضى عياض فى الشفاء الشريف ان هذه الاخبار يعنى المذكورة فى قصة هاروت وماروت لم يرو منها شئ لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى

الله تعالى عليه وسلم وليس هو شيء يؤخذ بقياس واذا علمت ذلك فنحن
يسوغ لنا الاخذ بقول هؤلاء الأئمة الاعلام والاعتماد على ما رجحوه فى عدم
صحة هذه الرواية ولا يجب علينا اعتقاد هذه القصة فى هذين الملكين وعلى
فرض صحة روايتها كما قال به بعضهم فنقول لعلها من باب ضرب الامثال
والرموز كما ذكر احتمال ذلك البيضاوى وأبو السعود وبين شيخى زاده
والسيلكوتى فى حاشيتيهما على البيضاوى كيفية ذلك التمثيل أو لعل الرواية
فى هذه القصة هى حكاية لما قاله اليهود وزعموه من جملة أقاصيصهم فبطلانه
فى نفسه لا ينافى صحة الرواية التى حكته لنا عنهم وعلى هذا حمل السيلكوتى
قول البيضاوى محكية عن اليهود وعلى كل فلا تعارض هذه القصة عصمة
جميع الملائكة والله تعالى أعلم

ومما وردت به النصوص الشرعية ويجب الايمان به أن على كل عبد
حفظة من الملائكة وكاتبين يكتبون أعمال العبد من حسنات وسيئات
وهذه الكتابة يكفر منكرها لتكذيبه القرآن قال تعالى (كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون) لكنها ليست لحاجة دعت اليها لاحاطة علم الله تعالى بكل
شيء وانما فائدتها أن العبد اذا علم بها استحى وترك المعاصى والكتب حقيقى
بآلة وقرطاس ومداد يعلمها الله تعالى حملا للنصوص على ظواهرها مع
عدم الاستحالة فى ذلك والله أعلم ومما وردت به النصوص الشرعية أيضا
وجود ملك يقبض الارواح أى يخرجها من مقرها فيجب الايمان بذلك

وورد أن اسمه عزرائيل وأن له أعوانا بعدد من يموت يترفق بالمؤمن ويأتيه بصورة حسنة بخلاف غيره وسنذكر فى الباب الثالث ان شاء الله تعالى الشبه الواردة فى شأن الملائكة فانظرها هنالك ويجب على كل مكلف شرعا الايمان بالكتب المنزلة من الله تعالى على الرسل عليهم الصلاة والسلام فنؤمن بأن لله تعالى كتبا أنزلها على رسله وبين فيها أمره ونهيه ووعده ووعيده وأفضل الكتب المنزلة القرآن ثم التوراة ثم الانجيل ثم الزبور وكلها كلام الله تعالى واعلم أن كلام الله يطلق على معنيين المعنى الاول هو الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى التى ليست بحرف ولا صوت كما قدمناه فى بحث صفاته تعالى والمعنى الثانى هو الكلام اللفظى المنزل على الرسل ومعنى أنه كلام الله تعالى أنه بمجرد الوحى وليس لاحد فى أصل تركيبه كسب وهو يدل على بعض ماتدل عليه صفة الكلام القديمة لانها تدل على جميع الواجبات والجائزات والمستحيلات كما مر فى بحث الصفات وهذه الالفاظ المنزلة على الرسل تدل على بعض ماتدل عليه تلك الصفة القديمة فلو كشف عنا الحجاب وفهمنا من الصفة القديمة طلب إقامة الصلاة مثلا لفهم ذلك من قوله تعالى فى القرآن أقيموا الصلاة وعلى المعنى الثانى يحمل قول السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها مابين دفتى المصحف كلام الله ومن أنكر أن مابين دفتى المصحف كلام الله فقد كفر الا أن يريد أنه ليس الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى ومع كون اللفظ الذى نقرأه حادثا ومخلوقا

لايجوز أن يقال كلام الله أو القرآن حادث أو مخلوق الا في مقام التعليم لانه لاطلاقه بالمعنى الاول على الصفة القديمة ربما يتوهم أن هذه الصفة حادثة أو مخلوقة ولذلك ضرب الامام احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه وحبس على أن يقول بخلق القرآن فلم يقل ثم اعلم أن جميع الكتب المنزلة قد نسخت بالقرآن تلاوتها او بعض أحكامها والله تعالى أعلم

ومما يجب شرعا على كل مكلف الايمان بالقضاء والقدر كما وردت النصوص الشرعية وكما أمرنا بالايمان بهما فقد نهينا عن الخوض في مباحثهما ولكن لما كان الايمان بهما لابد فيه من تفسير معناهما نقول إن المنقول عن المأثر بدية في تفسيرهما أن القدر هو تحديد الله تعالى أزلا كل مخلوق بحده الذى يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر الى غير ذلك أى علمه تعالى أزلا صفات المخلوقات فيرجع الى صفة العلم وان القضاء إيجاد الله تعالى الاشياء على وفق علمه تعالى وتقديره لها فى الأزل فقد تبين أن القدر والقضاء راجعان الى تعلق العلم الالهى الأزلى بالاشياء وتعلق القدرة الالهية بها وهذا قدم بيانه عند بيان ما يتعلق من صفات الله تعالى بالاشياء ومالا يتعلق ولكن لما كان خطر الجهل فى فن التوحيد عظيما صرح العلماء بوجوب الايمان بالقضاء والقدر ولاسيما أنه قد صرح بالايمان بهما فى صحيح الأحاديث ثم اعلم أنه وان وجب الايمان بالقدر لكن لايجوز الاحتجاج به لا قبل الوقوع توصلا الى الوقوع بأن يقول الشخص قدر الله

تعالى على الزنا مثلا وغرضه بذلك التوصل الى الوقوع فى الزنا وللشرع الحجة عليه فى ذلك اذ يقال له من جانب الشرع وما أدراك أنه قدر عليك من الازل ذلك حتى تقدم عليه فاقدامك على الذنب ليس الا لهوى نفسك وباختيارك وبذلك تؤاخذ عليه ولا بعد الوقوع تخلصا من الحد الشرعى ونحوه بأن وقع شخص فى الزنا مثلا وقال قدر الله تعالى على ذلك وغرضه التخلص من الحد وللشرع الحجة عليه أيضا اذ يقال له إنك أقدمت على الذنب ولا علم لك بتقديره عليك أزلا فاقدامك عليه ما كان الا لهوى نفسك وجراءتك على الله تعالى وبذلك تؤاخذ ويجب عليك الحد والله تعالى أعلم

﴿ الفصل الخامس ﴾

(فى الايمان باليوم الآخر وما يشتمل عليه وبالبعث وما يتقدم) ذلك من أحوال الموت والقبر وما يتبع ذلك

« ورد الشبه التى ترد فى هذا المقام »

اعلم أنه مما يجب على كل مكلف شرعا الايمان باليوم الآخر وهو يوم القيامة وأوله من وقت الحشر وينتهى بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار والواجب الايمان به وبما يشتمل عليه كما يجب الايمان بما يتقدمه من العلامات التى ثبتت بالنصوص الشرعية وبما يتقدمه أيضا من قبض الروح وأحوال القبر وأمثال ذلك مما ثبت فى النصوص الشرعية الصحيحة وتفصيل جميع

ذلك فيما سيتلى عليك فنقول قد وردت الآيات والاحاديث الصحيحة واتفق أهل السنة والجماعة أن لكل انسان روحا جرت عادة الله تعالى انها اذا كانت في جسده كان حيا واذا فارقته حله الموت وان عمر كل انسان مقدر بتخصيص الله تعالى لا يزيد ولا ينقص حتى المقتول فانه ميت باجله فاذا انقضى أجل الانسان قبض روحه الملك الموكل بقبض الارواح وهو ملك من أكابر الملائكة يسمى بعزرائيل فهو يقبض الروح أي يخرجها من مقرها ثم بعد وضع الانسان في قبره يعيد الله تعالى اليه الروح و يرد اليه من الحواس والعقل ما يتوقف عليه فهم الخطاب و يتأتى معه رد الجواب ثم يأتيه في تلك الحالة ملكان و يسأ لانه عن معتقده والحكمة في هذا السؤال أن يظهر لدى الملائكة المؤمن والمطيع وغيرهما و يترتب على ذلك إما تنعم الميت في قبره و إما عذابه ويستثنى من هذا السؤال من وردت الأحاديث باستثنائه كالانبياء وغيرهم كما هو مبسوط في كتب الاحاديث ثم ان الميت إما أن يتنعم في قبره ان كان مؤمنا مطيعا واما أن يعذب والمعذب إما أن يدوم عذابه الى يوم القيامة وإما أن ينقطع كما في بعض عصاة المؤمنين ومن أحوال القبر ضغطته وهي التقاء حافتيه على الميت ولا ينجو منها أحد الا من استثنى في الاحاديث كالانبياء ثم اذا تصرم الزمان وقرب يوم القيامة ظهرت له علامات منها العلامات الصغرى التي ظهر منها في هذا الزمان الكثير ومنها العلامات الكبرى وهي عشر ظهور المهدي وخروج الدجال ونزول

سيدنا عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وخروج الدابة التي تكلم الناس وطلوع الشمس من مغربها وظهور الدجال ويمكث في الارض أربعين يوما يصيب الكافر حتى يصير كالسكران ويصيب المؤمن منه كهيئة الزكام وخراب الكعبة على يد الحبشة بعد موت عيسى عليه السلام ورفع القرآن من المصاحف والصدور ورجوع أهل الارض كلهم كفارا ثم ينفخ في الصور النفخة الاولى فيموت أهل الارض والسموات والصور هو شئ كالقرن كبير جدا ينفخ فيه سيدنا اسرافيل أحد كبراء الملائكة ثم بعد مضى زمان طويل والخلائق موتى ينفخ في الصور مرة أخرى فيبعث الله تعالى الموتى من قبورهم ويحشرهم الى الموقف وهو الموضع الذى يقفون فيه لفصل القضاء واجراء حسابهم ومن أهوال الموقف طول الوقوف فيه ودنوّ الشمس من رؤس الخلائق حتى تكون على قدر الميل وخوضهم في العرق الذى هو أنتن من الجيفة ويكون خوضهم فيه على قدر أعمالهم حتى أن بعضهم يلجمه العرق إلجاما وسؤال الملائكة لهم عن أعمالهم وتغريطهم فيها وشهادة أعضائهم وجلودهم والارض والحفظة الكرام عليهم ولا يصيب شئ من تلك الاهوال الأنبياء والأولياء وسائر الصلحاء ثم بعد اشتداد هول الموقف يشفع سيدنا ﴿محمد﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم الشفاعة العظمى وهى شفاعته في فصل القضاء بين جميع الخلائق عندما يشتد الهول عليهم ويطول وقوفهم فيستشفعون به فيشفع لهم عند ربه

فى ذلك و بعد ذلك له شفاعات كثيرة منها شفاعته فى ادخال قوم الجنة بغير
حساب ومنها شفاعته فى عدم دخول النار لقوم استحقوا دخولها ومنها فى
اخراج العصاة الموحدين من النار ومنها فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها
ومنها غير ذلك كما جاء فى الاحاديث الشريفة ويشفع غيره عليه
السلام من الانبياء والرسل والملائكة والصحابة والشهداء والعلماء العاملين
والأولياء و يأخذ العباد صحفهم وهى كتبهم التى كتبت فيها الملائكة ما فعلوه
فى الدنيا وتوزن أفعال العباد بميزان و جمهور المفسرين على أن الموزون
هى الكتب التى اشتملت على أعمال العباد بناء على أن الحسنات مميزة
بكتاب والسيئات بآخر ويجب علينا الايمان بالوزن والميزان
وتفويض علم حقيقة ذلك الى الله تعالى وتحاسب الخلائق أى يوقف الله
تعالى الخلائق على أعمالهم خيرا كانت أو شرا قولا كانت أو فعلا تفصيلا
بعد أخذهم كتبها و يكون الحساب للمؤمنين والكافرين و يستثنى من ذلك
من وردت الاحاديث باستثنائه ثم يمر الخلائق على الصراط وهو جسر
ممدود على متن جهنم يمر عليه الأولون والآخرون وهو طريق الناس الى
الجنة فالمؤمنون الطائعون والذين غفرت سيئاتهم يمرون عليه و يخلصون
الى الجنة والكفار و بعض عصاة المؤمنين الذين حكم عليهم بالعذاب فى
جهنم مدة يسقطون فى نار جهنم فى حال مرورهم على الصراط ومرور
الناجين مختلف فى السرعة والبطء حسب مقاماتهم والحكمة فى المرور

على الصراط ظهور النجاة من النار وأن يتحسر الكفار بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم فى المرور ومما اشتمل عليه يوم القيامة وجود حوض عظيم لسيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم يرده المؤمنون ويشربون منه عند العطش الاكبر ثم إن الله تعالى خلق دارين عظيمتين احداهما دار النعيم وهى الجنة وفيها من النعيم الذى أعده الله تعالى لعباده المؤمنين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وثانيتهما دار العذاب وهى جهنم أعد الله تعالى فيها من العذاب للكفار والعصاة ماترجف عند ذكره القلوب وتقشعر الجلود أعاذنا الله تعالى منها وهاتان الداران مخلوقتان وموجودتان كما دلت على ذلك الآيات والأحاديث وبعد انقضاء حساب الخلائق ومرورهم على الصراط يدخل الجنة المؤمنون الطائعون من جميع الأمم وعصاة المؤمنين الذين غفرت سيئاتهم أو أدركتهم شفاعة ويدخل جهنم الكفار وعصاة المؤمنين الذين حكم عليهم بالعذاب مدة أما الكفار فلا يخرجون منها أبدا وأما العصاة المؤمنون فلهم الخروج منها ودخول الجنة بعد انقضاء مدة عذابهم أو نوالهم شفاعة ثم يدوم أهل الجنة خالدين فى الجنة وأهل النار الكفار خالدين فى النار أبد الآبدين ودهر الداهرين وكل مامر فقد ثبت بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وهو مذهب أهل السنة والجماعة ويجب الايمان به على كل مكلف شرعا والله تعالى أعلم

﴿ توضيحات يندفع بها بعض الشبه الواردة ﴾
(على مامر فى هذا المقام)

إعلم أنه قد ترد بعض الشبه على بعض ماذكر هنا فى هذا المقام ولكن هى عند من يؤمن بوجود الله تعالى وعظيم قدرته وواسع علمه و يعتقد أن الله تعالى هو الذى أوجد هذه الأكوان من العدم وصورها على صور تشتمل على دقائق الحكم لا يصعب عليه الايمان بجميع مامر ولا رد تلك الشبه عن عقيدته بقاطع البرهان وواضح التبيان وأما من لم يكن مؤمنا بوجود ذلك الاله العظيم فالصواب فى حقه أولا أن تقام له الأدلة على وجوده تعالى ثم بعد ذلك تكشف شبهته فى أمثال هذه العقائد وتوضيح رد تلك الشبه أن يقال إن الذى ثبت فى النصوص الشرعية أن للانسان روحا تتعلق بجسده و يتسبب عنها حياته واذا فارقته بقبض الملك لها حله الموت فبعض علماء الاسلام خاض فى البحث عن حقيقة هذه الروح ولكن لم يقم معه برهان قاطع شرعى أو عقلى على بيان حقيقتها و بعضهم وهم أهل الطريق الأسلم ترك الخوض فى هذا البحث إذ لم يرد عن الشارع دليل على حقيقتها بل قد ورد فى الشرع مايشير الى أن ترك البحث عن حقيقتها هو الأولى وعلى طريقة هؤلاء العلماء يكفى فى تصديق النصوص الشرعية الواردة فى وجود الروح ان يعتقد المكلف ان لكل انسان روحا وهى شىء موجود الله أعلم بحقيقته وليس القول

بوجوده مايخالف العقل وعدم الاحساس به كما يقول بعض الجهلة بأنا لانرى شيأ يخرج من فم الميت عند موته لا يقتضي عدمه إذ ربما يكون عدم الاحساس به للطافته كالهواء أو كالأثير الذي يقول به الطبيعيون المتأخرون أو لدقته جدا كالحيوانات الصغيرة جدا التي توجد في المياه وكثير منها لايرى حتى بالمجسمات للمرئي أو لغير ذلك وكونه بتلك اللطافة أو الصغر وتنشأ عنه الحياة لاغرابة فيه فكم من عقار أو نبات لطيف أو صغير جدا تنشأ عنه حوادث عظيمة لاتحدها العقول وكذلك شرارة النار اذا لامست كمية كثيرة من الأجسام القابلة للالتهاب وكما في الجزء الصغير من السم اذا دخل الجسد ومايحدث عنه وأمثال ذلك كثير مما هو لطيف أو صغير تنشأ عنه حوادث عظيمة فلاغرابة في تسبب الحياة في الجسد عن الروح وان كانت أمرا لطيفا أو صغيرا جدا لاسيما ان الحياة لاتنشأ عن الروح بطبيعتها بل بخلق الله تعالى والروح انما هي سبب عادي فلا اشكال في ذلك أصلا ثم وان تكن الروح بتلك اللطافة أو الصغر فلا مانع أن يجعل الله تعالى للملك قدرة على قبضها واخراجها من الجسد ألا ترى المغناطيس قد جعل الله تعالى فيه خاصية جذب الحديد فيجذب الطف وادق برادة منه ولو لم تر بالعين ولا بمجسمات المرئي وكل ذلك من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فلا شيء يوجب الاشتباه ثم لما وردت نصوص الشريعة بوجوب اعتقاد البعث أي إن الله تعالى يعيد الأموات يوم القيامة ويحييهم كان المشركون في

عصر الرسول عليه الصلاة والسلام يوردون الشبه على القول بالبعث ويقولون كيف يحيي الله تعالى الأموات بعد مفارقتهم الحياة وفنائهم وتفرق أجزائهم بين أجزاء الارض فكان القرآن الشريف يرد عليهم تلك الشبه في آيات كثيرة بما معناه ان الله تعالى تام القدرة كامل العلم لا يعجزه شيء مهما كان عظيما ولا يخفى على علمه شيء مهما كان دقيقا خفيا والذي أوجد الكائنات من العدم بذلك الاتقان والاحكام هو قادر على اعادة الاموات بعد الفناء وإحيائهم للحساب والجزاء ويضرب لهم سبحانه الامثال التي تقرب ذلك لعقولهم بأن الله تعالى يحيي الارض بعد موتها بانزال المطر عليها فتصبح مخضرة مزهرة بهجة بعد ان كانت قاحلة يابسة لا ترى فيها أثرا للحياة الى غير ذلك من الامثال التي ترفع عنهم شبه البعث التي قامت عندهم ثم ان علماء الشريعة الاعلام لما وجد والفلاسفة المنكرين للبعث شبها أخرى يزعمون فيها حصول محالات عقلية على القول بالبعث قال أولئك العلماء رحمهم الله تعالى ان الواجب شرعا على كل مكلف أن يعتقد بحصول البعث والاعادة وان ذلك يحصل على وجه لا يستلزم محالا عقليا والله أعلم بكيفية ذلك ولا يلزمنا لصحة الايمان بالبعث ان نبين الكيفية التي يجريها الله تعالى في أمر البعث بل نفوض علمها اليه تعالى ولكن للمحافظة على أفكار الضعفاء في الدين من الاضطراب نقول في توضيح ذلك من الممكن ان المعاد من الجسم بالبعث هو جميع أجزائه الاصلية أي الباقية من أول العمر الى

آخره لا الاجزاء الفضلية التي تتكون في الجسم من الاغذية ثم تحلل ويخلفها غيرها وهلم جرا واذا كان الامر كذلك فالمانع من أن الله تعالى العظيم القدرة الواسع العلم يحفظ تلك الاجزاء الاصلية للانسان بعد موته من التفرق ومن زوال صورتها ومن دخولها في اجزاء أصلية لحيوان آخر يأكل انسانا وان دخلت في تركيب الاجزاء الفضلية لذلك الحيوان فتنفصل عنها عند انحلالها بموت ذلك الحيوان ثم عند الاعادة والبعث يعيد الله تعالى تعلق الروح بتلك الاجزاء الاصلية للانسان ويضم اليها أجزاء فضلية يكمل بها مقدار الانسان وهيكله كما كان قبل الموت سواء كانت تلك الاجزاء عين ما كانت قبل موت الانسان أو غيرها ويكون الاحساس بالتنعيم والتعذيب انما هو لمجموع الروح ولهذه الاجزاء الاصلية ويصدق على هذه الكيفية انها اعادة اذ قد أعيد تعلق الروح بالاجزاء الاصلية التي هي حقيقة الانسان بعد ان فارقتها وأعيد لهذه الاجزاء الاصلية الحياة وأعيدت اليها أجزاء فضلية كمل بها هيكل الانسان الذي كان قبل الموت واذا كان الحال كذلك فلا يقال من شبه أوائك الفلاسفة ان الانسان المنعم أو المعذب هو غير الذي كان قبل الموت ولا يقال إن الروحين تتعلقان بجسد واحد فيما اذا أكل انسان انسانا وصارا بالاغتذاء واحدا ولا يقال أن مادة واحدة حاصلة لاناس كثيرين حيث أن المشاهد على ظاهر الارض أجزاء جثث الموتى القديمة وقد زرع في الارض

زروع كثيرة وغرس فيها أشجار واغتذى منها الناس وانعقد ذلك في أبدانهم لحما ودما الى تمام جميع ذلك نقول إن الاجزاء الاصلية التي كانت مع الروح المتعلقة بها قبل الموت انسانا هي بعينها مع الروح المتعلقة بها عند البعث ذلك الانسان بعينه وقدرة الله تعالى وعلمه يصلحان لاجراء هذه الكيفية التي لا تتضمن محالا أصلا وعدم احساسنا بها لا يستلزم عدمها اذ يحتمل أنا نشاهد تفرق الاجزاء الفضلية ولا نشاهد الاجزاء الاصلية التي هي حقيقة الانسان اما لدقتها واما للطافتها واما لغير ذلك وكم من العوالم لم تزل في حيز الخفاء محجوبة عن حواسنا ولا مانع أن تكون هذه من هذا القبيل والملخص ان نصوص الشريعة نطقت بالاعادة والبعث فنحن نؤمن بذلك ونعتقد أنه سيكون على وجه لا يستلزم محالا ولا يلزمنا بيان الكيفية على وجه التفصيل وان احتجنا الى هذا البيان نجد ان مثل تلك الكيفية التي قررناها كافية وافية في اقناع العقول ودفع الشبه كما لا يخفى على المتأمل المنصف وان كنا غير مكلفين باعتقاد هذا التفصيل الذي شرحناه بل الذي نكلف به الايمان بالبعث على وجه لا يستلزم محالا كما تقدم ثم نقول وفي القول بالاجزاء الاصلية التي مر شرحها تندفع الشبه عن نعيم القبر وعذابه اللذين وردت بهما النصوص الشرعية اذ يقال ما المانع أن الله تعالى يجعل للروح تعلقا خاصا بتلك الاجزاء الاصلية بحيث تحس بالنعيم أو العذاب وهي في القبر ونحن وان كنا نشاهد الجسد قد تفرق وتلاشى

ولا حياة فيه فتلك الاجزاء الاصلية يجرى فيها التنعيم والتعذيب ولا نرى شيأ
من ذلك لخفائها عن أبصارنا لدقتها أو للطافتها وكذلك تندفع الشبه الواردة
على ماجاء من نصوص الشريعة أن بعض الناس هم احياء عند ربهم
يرزقون كالشهداء فانه يقال أيضا لا مانع أن الله تعالى يجعل لارواحهم
تعلقا خاصا بأجزائهم الاصلية بحيث تكون حية حياة تقبل الرزق والتنعيم
بنوع مخصوص هو الذى أخبرت عنه النصوص وان كنا لا نرى ذلك وكل
ذلك من الجائزات العقلية التى لا تستلزم محالا وداخلة تحت تصرف قدرة
الله تعالى ومن اطلع على مايقوله المتأخرون من الطبيعيين فى أحوال
الحيوانات الصغيرة التى لا ترى الا بأكبر المجسمات للمرئى من أن لها ادراكا
واحساسا وسعيا على معاشها واحتراسا على حياتها ومقاتلة لبعضها البعض
واحتيالا على تحصيل رزقها وغير ذلك لم يستبعد ما قررناه فى حق الاجزاء
الاصلية للانسان وقبولها التعلق أرواحها واحساسها بما يريده الله تعالى
لها من نعيم أو عذاب من غير أن نشعر نحن بشئ من ذلك والله على كل شئ
قدير ثم ما ورد من أن أعضاء الخلق وجلودهم والارض تشهد عليهم هو من
الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى كما تقدم توضيح
نظيره فى بيان معجزات الرسل من أن منها نطق الجمادات فحيث أن الله تعالى
هو الخالق لصفة الكلام فى الانسان ولا يتوقف خلقه لها على حياة
ولا غيرها كما أقيم على ذلك البرهان فلا مانع انه تعالى يخلق فى تلك الاشياء

الكلام وتشهد على العصاة بأعمالهم وحكمة ذلك تخويف العباد من ارتكاب المعاصي عند ما تخبرهم الرسل أن أعضاءهم وجلودهم والارض التي يعصون عليها تشهد عليهم يوم القيامة وأيضا اظهار عظمة قدرة الله تعالى في ذلك اليوم وظهور بالغ حجته على العباد ولله الحجة البالغة ثم ان الصراط الذي يمد على متن جهنم لمرور الناس عليه كما تقدم شرحه ليس فيه شيء يستبعده العقل لكن في بعض روايات وردت في وصفه ليست من الروايات المتواترة وان اشتهرت أن الصراط يكون أدق من الشعرة وأحد من السيف وهذه الكيفية قد يستبعدها بعض الضعفاء وان كانت من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة القادر العظيم ومع ذلك فقد نازع في صحة ذلك بعض العلماء الاعلام كالعز بن عبد السلام والشيخ القرافي والبدر الزركشي كما نقله الباجوري على الجوهرة قالوا وعلى فرض صحة تلك الرواية فهو محمول على غير ظاهره بأن يؤول بأنه كناية عن شدة المشقة زاد القرافي أن الصحيح أن الصراط عريض وله طريقان يمنى ويسرى فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وعلى هذا التقرير فلا اشكال يبقى هنا حتى على أفكار الضعفاء ويكفي المكلف الايمان بوجود الصراط ولو على هذه الكيفية والله تعالى أعلم

ثم مما تقدم في العلامات الكبرى ليوم القيامة طلوع الشمس من

مغربها والذى ورد فى ذلك الحديث الشريف انها تطلع من مغربها حتى تتوسط السماء ثم تعود فتغرب فى جهة المغرب وتستمر بعد ذلك على عادتها الاصلية وهذا من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فمن يؤمن بوجود الله تعالى وعظيم قدرته لا يصعب عليه الايمان بذلك وقد مر توضيح جواز هذا الامر فى نظيره من وقوف الشمس ورجوعها معجزة لسيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم ولسيدنا يوشع عليه السلام عند بيان معجزات الرسل وقررنا ذلك هنالك بأوضح بيان فارجع اليه ان شئت فى فصل المعجزات والله تعالى أعلم

ثم مما تقدم أيضا من تلك العلامات خروج يأجوج ومأجوج وهما أمتان عظيمتان قد جاء ذكرهما فى القرآن الشريف وان ذا القرنين سد عليهما طريق خروجهما من أرضهما بالسد الذى اصطنعه وان ذا القرنين قال ما معناه ان هذا السد اذا جاء وعد ربى جعله دكاء أى منهدما وفسر المفسرون مجىء وعد الله بمجىء يوم القيامة أى قربه وقد جاءت أحاديث صحيحة بتفصيل خروج يأجوج ومأجوج فى آخر الزمان وان ذلك من علامات القيامة الكبرى فوجب على كل مكلف الايمان بذلك وما يقال من أن علماء الجغرافيا قد ساحوا الارض ولم يعثروا على محل يأجوج ومأجوج فهو كلام لا يمنع صدق تلك النصوص الشرعية الواردة بوجودهم فى الارض وبيان ذلك انا نقول أولا لا نسلم أن الجغرافيين ساحوا جميع بقاع الارض

ولم يدعوا بقعة منها الا وردوها وانما ساحوا البقاع المسكونة أو القريبة منها وكم من بقاع كثيرة وأودية وجبال توجد فى أطراف الارض لم تطأها أقدامهم لا سيما فى الاطراف الشمالية خلف جبال الجليد ونهاية المنطقة المتجمدة الشمالية كما يعلم ذلك من الاطلاع على شروحهم المسطورة فى كتبهم ولعل هاتين الامتين توجدان فى بعض بقاع الاطراف التى لم يصل اليها أحد من أهل الجغرافيا وثانيا قد قال علامة المفسرين الامام الرازى رحمه الله تعالى أن الاظهر ان موضع السد هو فى ناحية الشمال ولا يخفى على العارف بتخطيط الارض ان جهات الشمال بعد سيبريا توجد جبال جليدية لا تنقطع عنها الثلوج فى جميع الفصول ولا يمكن لأحد فى هذه العصور سلوكها ومن المعلوم أيضا انه يوجد بعدها مسافة من الارض ممتدة الى انتهاء الارض وحينئذ نقول ما المانع انه يوجد خلف تلك الجبال أراض منخفضة عنها بحيث يتسبب عن انخفاضها خفة الثلوج عنها بحيث تصلح لسكنى البشر وأن يكون يأجوج ومأجوج ساكنين فى تلك الاراضى المنخفضة ومن الجائز أن يكون فى زمان ذى القرنين الذى مضى عليه الى هذا الزمان ألوف من السنين يوجد واد منخفض موصل لتلك الاراضى وطريق لها وكانوا يخرجون منه للامم المجاورين لهم خارج تلك الجبال ويقاتلونهم فسد عليهم ذو القرنين مسلك ذلك الوادى وحصرهم خلف تلك الجبال وصاروا غير قادرين على الخروج من الوادى لوجود

السد ولا يمكنهم تسلق الجبال لوجود الثلوج عليها ثم بعد ذلك حدثت حوادث جوية وتتابع نزول الثلوج حتى سدت ذلك الوادى وملأته حتى ساوته بالجبال التى حوله وخفى أثره ثم عند قرب يوم القيامة يذوب الثلج منه بأسباب جوية أو أرضية كالزلزلة ويتيسر للامتين المذكورتين هدم السد والخروج من ذلك الوادى طبق ماجاءت به النصوص الشرعية ووجود الحوادث الجوية التى توجب تراكم الثلوج فى بعض الاماكن مئات من السنين ثم زوالها لحوادث أخرى غير مستحيل لاعقلا ولاعادة بل اذا فتشنا التاريخ نجد لذلك شواهد ظاهرة كثيرة على وجه الارض وقدرة الله تعالى صالحة لاجراء تلك الاعمال كلها واتمام ذلك التدبير وحيث كان ذلك جائزا داخلا تحت تصرف القدرة الالهية وقد وردت النصوص بخروج هاتين الامتين فى آخر الزمان فنحن نؤمن بذلك ونصدقه وبما قررناه ارتفعت الشبهة التى مستندها سياحة الجغرافيين هذا وأما ما يذكر فى بعض الكتب أن محل يأجوج ومأجوج فى المحل الفلانى من الأقاليم القريبة المعمورة وان الملك الفلانى الاموى أو العباسى أرسل الى السد من نظره الى غير ذلك من الاخبار فهى من تأليفات القصاص لا أصل لها يعتمد عليه وان اغتر بنقلها بعض المؤلفين والله تعالى أعلم

ثم مما ذكر فى تلك العلامات ليوم القيامة نزول سيدنا عيسى عليه السلام من السماء وهو أمر جائز عقلا كما أن صعوده الى السماء عندما طلبته اليهود

لتقتله هو أمر جائز أيضا ولا يترتب على ذلك أدنى محال فالمانع أن الله تعالى يصعده و ينزله بواسطة الملائكة الذين أعطاهم الله تعالى القدرة على الصعود والهبوط بين السماء والارض كما يأتى بيان ذلك و يحفظ الله تعالى حياته من جميع مايتوهمه المتوهمون فى حق من يصعد الى فوق كرة الهواء فان احتياج الانسان لتنفس الهواء ماهو الا أمر عادى والله تعالى قادر على حفظ الحياة بدونه وكذلك من تلك العلامات خروج الدابة التى تكلم الناس هو أمر جائز والله تعالى قادر على اعطاء الدابة صفة الكلام وكذلك وجود الدخان فى الارض أربعين يوما كل ذلك من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف القدرة الالهية لاشئ من ذلك يستلزم محالا فنؤمن بجميع ذلك ونصدق به ولله تعالى حكم فى جميع ماتقدم من أحوال البعث والسؤال والميزان والصراط وغير ذلك تجد كثيرا منها مذكورا فى مطاوى كلام علماء الاسلام والله يتولى هدانا أجمعين

ولنختم هذا الباب بذكر أدلة عقلية على حصول البعث والجزاء وهى وان لم تكن برهانية قاطعة فهى اقناعية تذعن عندها العقول وتطمئن لها القلوب وبتواردها بمجموعها على الفكر يجزم العقل بوقوع البعث والجزاء ولا يعير للشك اذنا صاغية اعلم أن البعث والجزاء وإن كان المشهور أن دليل جوازهما عقلى كما علمته مما مر ودليل حصولهما بالفعل شرعى وهو النصوص الشرعية الواردة فى القرآن الشريف والحديث المنيف لكن

اذا دقق النظر وجد أن لحصولهما دلائل عقلية اقناعية تطمئن لها القلوب كما قلنا فاستمع ما يتلى عليك من كلام العلماء الاعلام فى ذلك فنقول انه بعد اقامة البراهين القاطعة على وجود إله العالم واتصافه بصفات الكمال من الحكمة والعدل والرحمة لخلقه لاشك ان كل معتقد لذلك يظهر له أن من حكمته تعالى وعدله بعد أن خلق الخلق وأعطاهم عقولا يميزون بها بين الحسن والقبيح وقدرا بها يقدرون على الخير والشر أن يمنعهم عن سوء اعتقادهم به وعن الجهل والكذب وايذاء الصالحين من خلقه وغير ذلك من القبائح ويرغبهم فى عمل الخير واتصافهم بالاخلاق الفاضلة التى ينتظم بها معاشهم ومن المعلوم أن هذين الامرين لا يتمان الا بربط عمل الخير بالثواب وعمل الشر بالعقاب وكل من الثواب والعقاب غير حاصل فى دار الدنيا فلا بد من دار أخرى يحصل فيها ذلك ولا يقال انه يكتفى فى الترهيب والترغيب بما أودع فى العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات لان الهوى والنفس يدعوان الانسان الى الانهماك فى الشهوات الجسمانية واللذات الجسدية واذا حصل هذا التعارض بين ماتدل عليه العقول وبين الهوى والنفس فلا بد من مرجح قوى ومعاضد كامل وما ذلك الا ترتيب الوعد والوعيد والثواب والعقاب على الفعل والترك

ثم من حكمة السلطان الحكيم الرحيم أن يبعث نفوس رعيته للعطف على الفقراء ليعينوهم بشىء من الاموال على مصالح معاشهم واللائق بالاغنياء

أن تكون تلك الاعانة منهم على وجه الرغبة وانشراح الصدر و بذلك يصلح حال الفقراء و يندفع عنهم الشقاء و يفارقهم العناء فى الجملة وحيث أن النفوس مفطورة على حب المال ولا تسمح بصرف شئ منه الا اذا وجدت عوضا هو خير منه فكان من حكمة الله تعالى أن يجعل دارا غير هذه الدار يكافئ فيها بالخير المتصدقين على الفقراء والمساكين و يجازى مانعى الصدقات والزكوات بما يستحقون فاذا علم الأغنياء بوجود دار أخرى وانهم يكافؤن فيها على الصدقة بعشر أمثالها فحينئذ ينفقون على الفقراء والمساكين برغبة وانشراح صدور لما يرجونه من نوال الاجور بل يرغبون أيضا فى الصدقات الجارية التى لا تنقطع فيرصدون الأوقاف الجسيمة و يشيدون للصلوات والاذكار واطعام الطعام المساجد والزوايا والتكايا العظيمة فينتج عن ذلك من الخيرات ما لا يدخل تحت الحصر وكل ذلك ناشئ عن الرغبة فى نعيم الدار الآخرة والنجاة من عذابها ولولا ذلك لما كان من تلك المآثر الخيرية الا أقل القليل.

ثم ان السلطان العادل الحكيم الرحيم اذا كان له جمع من الرعية وكان بعضهم اقوياء و بعضهم ضعفاء كان من حكمته وعدله و رحمته ان ينتصف للمظلوم الضعيف من الظالم القوى والله سبحانه وتعالى سلطان حكيم عادل رحيم فمن حكمته وعدله و رحمته ان ينتصف لعبيده المظلومين من عبيده الظالمين وهذا الانتصاف لم يحصل فى هذه الدار لاننا نرى المظلوم قد يبقى فيها مهانا فى

غاية الذلة والقهر مسلوب المال مفضوح العرض والظالم يبقى فى غايه العزة والقدرة فلا بد من دار أخرى يظهر فيها هذا العدل وهذا الانصاف ثم انه لو لم يحصل للانسان معاد لكان الانسان أخس من جميع الحيوانات فى المنزلة والشرف وبيان ذلك ان مضار الانسان فى الدنيا أكثر من مضار جميع الحيوانات فان سائر الحيوانات قبل وقوعها فى الآلام والاسقام تكون فارغة البال طيبة النفس لانه ليس لها فكر وتأمل اما الانسان فبسبب ماله من العقل يتفكر أبدا فى الاحوال الماضية والاحوال المستقبلة فيحصل له بسبب أكثر الاحوال الماضية أنواع من الحزن والاسف ويحصل له بسبب أكثر الاحوال الآتيه أنواع من الخوف فثبت ان حصول العقل للانسان سبب لحصول المضار العظيمة فى الدنيا والآلام النفسانية الشديدة القوية أما اللذات الجسمانية فهى مشتركة بينه وبين سائر الحيوانات لان السرقين فى مذاق الجعل طيب كما أن أنخر الحلويات فى مذاق الانسان طيب فلو لم يحصل للانسان معاد به تكمل حالته وتظهر سعادته لوجب ان يكون كمال العقل سببا لمزيد الهموم والغموم والاحزان من غير جابر يجبر ذلك ومعلوم أن كل ما يكون كذلك فانه يكون سببا لمزيد الخسة والدناءة والشقاء والتعب الخالية عن المنفعة فثبت انه لولا حصول السعادة الأخروية لكان الانسان أخس الحيوانات حتى الخنافس والديدان ولما كان ذلك باطلا قطعا علمنا انه لابد من الدار الآخرة والانسان خلق للآخرة

لا للدنيا نعم ان هذه الدار هى كالمميز بين الاخيار والاشرار ليجزى الاولون بالثواب والآخرون بالعقاب لان كل من كان شريرا فالنار أولى به ويكون حظه من الوجود ما يحصله من لذات هذه الدار الفانية فلذلك نراها موفورة لكثير من أهل الزيغ الاشرار منغصة على كثير من أهل الايمان الاخيار ومن هذا المقام يعلم ان مذهب المنكرين للمعاد من الكفار شر لا يماثله شر لانه يلزم عنه انه لا حلال ولا حرام أصلا ومع هذا يمتنع العمران وقولهم بأن نظام العالم يكمل بمعرفة الانسان ماله من الحقوق وما عليه من الواجبات الانسانية وهذه المعرفة تكمل له بالعلم الصحيح التام العام نقول فى جوابه انهم قد غفلوا عن ان الاهواء والشهوات وحب الذات لا يقاومها مجرد القوانين التى يقيمها العلم السياسى فلا بد من وازع آخر يزع النفوس عن المضار ومرجح يرجح اتباع طريق الخير وهجران سبيل الشر وهو الايمان بالمعاد والمكافأة على الاعمال ان خيرا فخير وان شرا فشر والا فليتأمل العاقل فى الانسان اذا كان معتقدا انه مثل نبات الارض ينبت ثم يزول لا إلى رجعة وليس له حظ من وجوده الا لذاته الحيوانية التى ينالها مدة حياته فهما سن له العلم السياسى من الضوابط لمعرفة ماله وما عليه فاذا قدر على قتل سواه وأخذ ماله الذى يبلغ الملايين بدون ان يطلع عليه احد من الناس او هتك اشرف عرض وبلوغ لذة بدون اطلاع أحد فهل يظن أن تلك القوانين التى سنها له العلم السياسى تردعه عن ارتكاب ذلك لا يقول بذلك الا مكابر ومن المعلوم ان الانسان

مفطور على حب ذاته فمن يدرى به حق الدراية لا يأمن له فى شىء الا اذا
وجده مرتبطا بالدين وانا نرى ان بعض الامم تعتقد المعاد ويظهر فيها من بعض
افرادها ما يظهر من الفساد فكيف يكون حالها لو نسخ هذا الاعتقاد منها
فبلا شك أن فسادها يصير عظيما جدا على اننا نرى الامم التى انتشر بينها العلم
الدنيوى لاسيما السياسى فى هذا الزمان لا تزال آخذة فى سبيل الشرور بل كلما
ازداد ذلك العلم بينها ازدادت شرورها وفشا بينها الزنا الذى يضيع الانساب
ويحل عقد التناصر وقتل النفس والانتحار وازالة العقل بالمسكرات
والاحتيال بفنونها وصنائعها على سلب الاموال والغش والخديعة وكثير من
الاخلاق المخلة بنظام الهيئة الاجتماعية وما ذلك الا لأن علومها التى
برعت فيها ليس لها فى اعتقاد المعاد نصيب وبالظن أن تلك الامم لو لا بقية
من اعتقاد المعاد قائمة بينها لوجدناها قد هوت للدمار وأخذت تمحى من
لوح الوجود ومما يضحك الثكلى أن القوم الذين ينكرون البعث والمعاد
لما لاحظوا أن العلم لا يتكفل بنظام الهيئة الاجتماعية الا اذا كان تاما عاما
فى جميع الافراد الانسانية اشترطوا فى تكفله بذلك ان يكون تاما عاما ثم
قالوا لا بد من ذلك يوما ما الا ان ذلك بعيد جدا وربما يلزم له ألوف من
الاجيال فهم فى رفضهم لاعتقاد المعاد وتمنيهم فى العلم هذه الامانى الواهية مثل
الطبيب الاحمق الذى يقول للمريض بالمرض القتال اترك الحمية وكل ما شئت
وانى بعد كذا وكذا من السنين آتيك بدواء يكون به شفاؤك فالى أن يأتيه

بذلك الدواء يكون المريض قد هلك وأصبح عظاما نخرة على أنه ليس من حسن التدبير وكياسة الرأى والاخذ بالحزم مع عدم اعتقاد أولئك المنكرين للمعاد أن يجاهروا به بين العموم حتى يروا أن العلم الذى يزعمونه بمجرده متكفلا بحفظ نظام العالم قد تم وعم والا فهم بمجاهرتهم بهذا القول الباطل قد فتحوا باب الدمار على العالم ونعوذ بالله تعالى أن يشيع هذا الفكر بين الأمم ومعاذ الله تعالى أن يشيع والعقول تأباه هدانا الله واياهم لما فيه خير الانام

والنصيحة لهؤلاء المنكرين أن يأخذوا بالحزم والاحتياط ويتصوروا أنهم اذا صدقوا بالمعاد وتأهبوا له فاذا كان حقا نجوا وان كان باطلا لم يضرهم هذا الاعتقاد غاية ما فى الباب أن يقال انه تفوتهم اللذات الجسمانية لكن هذه اللذات يجب على العاقل أن لا يبالى بها لامرين احدهما أنها فى غاية الخساسة لانها مشترك فيها الخنفساء والديدان والثانى أنها منقطعة سريعة الفناء والزوال فالحرص عليها لا يساوى ترك الحزم والاحتياط فى الامر الذى تخشى عواقبه والله الموفق

﴿ الباب الثالث ﴾

« فى رد شبه عن نصوص شرعية تعتمد فى الاعتقاد أو التوفيق »
« بينها وبين ما يثبت بالدليل العقلى القاطع مما ينافى المعانى »
« الظاهرة لتلك النصوص وفيه أربعة فصول »

اعلم أننا فى هذا المقام نحتاج الى ثلاث مقدمات

(المقدمة الاولى)

ليعلم أن النصوص الشرعية التي يعتمد عليها في الاعتقاد كما يعتمد عليها في أحكام العبادات واحكام المعاملات هي الايات القرآنية و بعض أحاديث نبوية ثبت نقلها لنا عن الرسول عليه الصلاة والسلام ثبوتا قطعيا تسمى بالمتواتر أو بعض أحاديث ثبت نقلها عنه عليه السلام ثبوتا قريبا من القطعي يوجب طمأنينة القلب والطمأنينة هي فوق الظن ودون اليقين وتسمى هذه الاحاديث بالمشهورة ثم ان كل نص من هذه النصوص يجب علينا ان نعتمد فيه معناه الظاهر المتبادر منه ولا يسوغ لنا تأويله وصرفه الى معنى آخر غير متبادر الا اذا قام دليل عقلي قطعي يناقض معناه الظاهر فحينئذ يكون قيام ذلك الدليل العقلي قرينة دالة لنا على أن معناه الظاهر غير مراد الشارع بل مراده معنى آخر غير ما يتبادر منه فنؤول النص حينئذ ونصرفه الى معنى آخر غير الظاهر المتبادر على سبيل الاحتمال يكون قابلا له وغير مناقض لذلك الدليل العقلي القطعي هذه هي القاعدة الكلية في النصوص الشرعية التي اعتمدها أهل السنة والجماعة وانما لم يجز ارادة غير المعنى الظاهر من النص الا لداع يدعو اليه لان الاصل في التخاطب ارادة المعنى الظاهر المتبادر دون خلافه اذ إرادة غير الظاهر من غير داع ولا قرينة يكون خللا في الافادة والاستفادة وفي ذلك من المفاسد ما لا يخفى وانما

انحصر الداعي الى ترك الظاهر بمعارضة الدليل العقلي القاطع لان رفض هذا الدليل رفض للاصل الذى ثبت به صدق الرسول عليه الصلاة والسلام وهو العقل اذ لولاه لما أمكننا الاستدلال على صدقه عليه السلام بدلائل المعجزات ورفض العقل يوجب رفض الشرع وأما معارضة الدليل العقلي الظني فلا تكون داعيا لترك الظاهر من معنى النص لان رفض الدليل الظني لا يوجب رفض العقل كما هو واضح لاحتمال ان هذا الظن باطل فى نفس الامر فلو تركنا الظاهر من النص لاجل الدليل الظني لكنا فى معرض أن يكون اعتقادنا خطأ لاعتمادنا على الظن وحينئذ لا نعذر فى ذلك اذ لا ضرورة تدعونا اليه كما تدعونا الضرورة عند معارضة الدليل العقلي القطعي على أن اتباع الدليل الظني وترك ظواهر النصوص يوجب اختباطا واختلاطا فى الاعتقاد لا يحد فان الظنون كثيرة والاعتقاد فى الشرائع انما يعتمد فيه اليقين فكان الصواب أن يتمسك بظواهر النصوص اليقينية الورود ولا يتحول عنها لمجرد الظنون

ثم قد يوجد فى الاحاديث النبوية نصوص لا تتوفر فى نقلها عن الرسول عليه السلام الشروط التى تبلغ بها درجة المتواتر أو المشهور فلا يكون ثبوت ورودها يقينيا بل ظنيا وتسمى بالآحاد ويعتمد عليها فى أحكام العبادات والمعاملات ولا يجب أن يعتمد عليها استقلالا فى الاعتقاد حيث انها ظنية والاعتقاد لا يعتمد على الظن ولكن إذا نقلها العدول وصارت معتمد الفقهاء

فى الأحكام لايجوز انكارها حيث لم يعارضها معارض عقلى لئلا يجر ذلك الى إنكار المتواتر والمشهور الموجب إنكارهما الكفر أو التضليل والعياذ بالله تعالى نعم إذا اكتنف الآحاد مايقويها ويجعلها يقينية الثبوت فيعتمد عليها حينئذ فى الاعتقاد كما قيل فى حديث عذاب القبر والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ المقدمة الثانية ﴾

إعلم انه لا يجب علينا شرعا من الاعتقادات إلا ما قام عليه الدليل العقلى القاطع الذى لايحتمل النقيض أو ماقام عليه الدليل الشرعى بأن نقل لنا عن الرسول عليه الصلاة والسلام آية قرآنية أو حديث متواتر أو حديث مشهور يدل على ذلك ولا يجب علينا تقليد غير الرسول المعصوم عليه الصلاة والسلام فيما ثبت عنه قطعيا وأما إذا نقلت لنا مسئلة اعتقادية عن أكبر علماء الأمة الاسلامية من غير إظهار دليلها العقلى القاطع أو دليلها الشرعى الثابت قطعيا عن الرسول عليه الصلاة والسلام فلا يجب علينا تقليده فى تلك المسئلة لاسيما إذا كانت مناقضة لظاهر من ظواهر نصوص الشريعة التى تعتمد فى فى الاعتقاد نعم إذا أول بعض العلماء الذين يعتمد عليهم فى فهم النصوص الشرعية بعض تلك النصوص بتأويل مناسب موافق للقواعد الشرعية والاصول العربية فالأخذ بتأويله سائغ غير مضر فى عقيدتنا إذا ظهر لتأويله داع قوى مثل الدليل العقلى القاطع الذى يحمل على التأويل

وصرف النص عن ظاهر معناه فانه حينئذ يكون الأخذ بتأويله هو الصواب ولا يقال إننا قلدنا ذلك العالم فى الاعتقاد وإنما يكون اعتقادنا معتمدا على النص وقلدناه بفهم النص وتأويله لانه هو أعلم منا بذلك فمن هنا يظهر لك خطأ بعض أهل هذا العصر فى تقليد فلان الفلكى أو فلان الجغرافى أو فلان الجيولوجى المشهورين فى فنونهم فى بعض مسائل ربما تكون مخالفة لظواهر نصوص الشريعة التى تعتمد فى الاعتقاد فهذا الحال ربما يوقع هؤلاء المقلدين فى الخروج عن الدين والعياذ بالله تعالى وهم لا يشعرون والذى يوقع أولئك المقلدين فى تقليد فلاسفة هذا الزمان فى تلك المسائل هو إنهم نظروا لهم أدلة فى بعض مسائل فنونهم يقينية قطعية كأدلتهم فى المسائل الحسابية والهندسية وبعض التجربات الطبيعية المحسوسة فاغتروا بهم وأوقعهم الوهم فى إعتقاد أن كل مايقوله أولئك الفلاسفة صواب يقينى الثبوت و إنهم لا يعتمدون فى أدلتهم فى جميع فنونهم إلا على اليقين ولم يدروا أنه يوجد فرق بين أدلة المسائل الحسابية وماذكر معها وبين أدلة كثير من المسائل الفلكية مثلا بأن تلك يقينية وهذه قد يوجد بينها كثير من الظنون والتخمينات وقياس الغائب على الشاهد الذى قد يكون فى نفس الأمر قياسا فاسدا وان قيل إن بعض تلك المسائل التى يقلد بها المقلدون فلاسفة هذا الزمان تكون مجمعا عليها عندهم . قلنا إنا معشر المسلمين لسنا مأمورين فى شرعنا بتقليد إجماع إلا إجماع هذه

الامة المحمدية أى إجماع علمائها الذين هم أهل الاجتهاد وفهم نصوص الشريعة حيث شهد لهم الرسول عليه الصلاة والسلام بأنهم لا يجتمعون على ضلالة على أن إجماع هؤلاء الفلاسفة على بعض تلك المسائل قد يكون مبنيا على دليل ظنى فلا يفيد عصمة إجماعهم من الخطأ لا سيما فى المسائل التى تكون بعيدة الموضوعات عنهم كما فى المسائل الفلكية والجوية فان معظم أدلتهم فيها الحدس والتخمين وقياس الغائب على الشاهد كما يعلم من الاطلاع على كتبهم التى تقرر فيها تلك المسائل ولنا عبرة فيما حدث على مذهب المتقدمين من الفلكين فى وجود الافلاك وما لها من الاحكام فانه قد مرت عليه المئات من السنين وهم مجمعون عليه وكم ألفوا فيه من الكتب وكم دونوا من الاصول والقواعد وكم صوروا صور الافلاك وذكروا لها من الاحكام الطويلة العريضة فجاء المتأخرون وأبطلوه من أصله وصار بينهم بعد خرافة من خرافات البشر اذا تقرر هذا فاعلم أنه كان من حق أولئك المقلدين لفلاسفة هذا الزمان فى بعض المسائل المخالفة لظواهر نصوص الشريعة الاسلامية أن يبحثوا عن أدلتهم فيها ويطلعوا عليها فان كانت ظنية فلا يلقون لها بالا ولا يتركون اعتقاد ظواهر نصوص شريعتهم القطعية الثبوت عن رسولهم الصادق المعصوم وان كانت أدلة يقينية ولم يبق معها ريب فى دلالتها على ما يناقض ظواهر نصوص الشريعة فحينئذ يسوغ لهم تأويل تلك الظواهر والتوفيق بينها وبين تلك المسائل كما هو القاعدة التى

حيث تقرر برهاعنـد أهل السـنة والجماعة وان لم يكن أولئك المقلدون أهلا للتأويل فليرجعوا فيه إلى علماء الدين الاعلام فيفهمونهم التأويل اللازم الجارى على قواعد الشريعة وأصول اللغة العربية التى جاءت بها النصوص الشرعية ويأمنون على ايمانهم الذى به سعادة الدارين والله الموفق

﴿ المقدمة الثالثة ﴾

إنّ الشريعة المحمدية بل وسائر الشرائع انما يقصد منها بيان ما يرشد الخلق الى معرفة الله تعالى باعتقاد وجوده واتصافه بصفات الكمال والى كيفية عبادته وأداء شكره والى الاحكام التى توصلهم الى انتظام المعاش وحسن المعاد وأما تعريفهم بمباحث العلوم الكونية من كيفية خلق العالم وما هى النواميس القائمة فى السماويات أوفى الارضيات وأمثال ذلك فليس شىء من نحو هذا من مقاصد الشرائع بل هذه المباحث هى معارف تتوصل الناس اليها بعقولهم فربما ينتفعون بها فى دنياهم وربما يكون حظهم منها مجرد الاطلاع والشرائع لا تلتفت اليها أولا وبالذات ولا تعتنى بتفاصيلها نعم قد تذكر شيأ منها مجملا على قدر ما يكون له دخل فى مقاصدها الاصلية فتذكر مثلا خلق السموات والارضين وابرازها من العدم واختلاف أنواع المخلوقات فى التنوعات وكيفية تدبير الاكوان واعطاء كل منها نظامه على سبيل الاجمال لأجل أن يكون ذلك دليلا عقليا للناس على وجود إله العالم وعلى اتصافه بالعلم والقدرة والحكمة الى غير ذلك وقد تفصل

بعض تلك المباحث لداع يدعو الى ذلك يكون مرجعه الى مقاصدها اذا تقرر هذا فنقول

﴿ الفصل الاول ﴾

(فى رد الشبه عن النصوص الشرعية الواردة فى السماويات)
(والارضيات أو التوفيق بينها وبين ما قام عليه)
(الدليل العقلى القاطع مناقضا لظواهرها)

علم انه قد ورد فى نصوص الشريعة الاسلامية التى تعتمد فى الاعتقاد أن الله تعالى خلق سبع سموات وخلق جسما كبيرا فوق تلك السموات يسمى كرسيا وجسما آخر فوقه يسمى عرشا وان بيننا وبين تلك الاجسام مسافات عظيمة كما أن بينها مسافات وانه تعالى خلق جسما كبيرا يسمى لوحا وجسما آخر يسمى قلما لاثبات ما يكون فى العالم وتسطيره لا عن حاجة الى جميع ذلك بل لحكم هو يعلمها سبحانه وانه خلق دارا تسمى الجنة أعدها للنعيم الطائعين ودارا أخرى تسمى جهنم أعدها للعذاب غير الطائعين بعد خراب عالم الارض والسموات وبعث الناس بعد الموت كما تقدم وأنه خلق الكواكب وجعلها زينة السماء الدنيا أى السماء القربى من الارض فقال بعض علماء الاسلام هى مركوزة فى نفس السماء وهو قول جمهور المفسرين وقال بعضهم هى دون السماء بينها وبين الارض وهو

منقول عن مكي وعن وهب ونقــله في مختصر الهيئة السنية للقرماني عن كثير من المفسرين وغيرهم ونقل الشيخ مرعي الحنبلي في عجائب المخلوقات حديثا آحاديا يدل عليه وكذلك نقل هذا الحديث أبو جعفر محمد بن عبد الله الـكسائي في كتاب الملـكوت ونقل الرازي أثرا عن كعب في تفسير سورة القدر صريحا في أن الشمس دون السماء الدنيا وعلى هذا القول فيكون معنى كونها زينة السماء الدنيا انها زينة لهـا بحسب مرأى الناظرين اليها وان كانت تحتها وهذا لا يلزم منه أن تكون مركوزة في نفس السماء ولعل أصحاب هذا القول يتأولون قوله تعالى (وجعل القمر فيهن نورا) أي في السموات نظير هذا التأويل وورد أيضا من نصوص الشريعة ما يفيد أن كلا من الـكواكب يسبح في فلك فقال بعض علماء الاسلام ان الفلك هو جسم يحمل الـكواكب وقال بعضهم هو مداره أي الحيز الذي يسير فيــه من الفراغ وهذا قول الضحاك كما في الرازي والذي عليــه جمهور علماء الاسلام أن السماء مرئية لنا كما يستفاد من ظاهر بعض النصوص وقال بعضهم انها غير مرئية وانمـا المرئي الهواء نقله في عجائب المخلوق عن القاضي أبي بكر بن العربي ولا بد انه يؤول النص الذي يدل ظاهره على انها ترى بتأويل مناسب وورد أيضا في النصوص الشرعيــة أن الله تعالى خلق سبع أرضــين فقال بعض العلماء ان المراد بها أقاليم أرضنا الســبعة وقال بعضــهم ان المراد طبقات الارض المتراكمة على بعضها وروى في بعض

الآثار عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان كل أرض منها كأرضنا وفيها عالم كعالمنا وورد من النصوص ما ظاهره أن الارض بسيطة كما في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وهو مذهب جمهور علماء الاسلام وقال بعضهم انها كروية وممن قال بذلك الامام الرازي وتأولوا قوله تعالى (دحاها) بأنه جعلها صالحة لسكنى الحيوانات بعد ان لم تكن كذلك وظاهر بعض النصوص يفيد أن الشمس هي التي تسير كما قال تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) وقوله تعالى (وجدها تطلع) (ووجدها تغرب) وكما يفهم من استعمال أهل الشرع في عصر « النبي » صلى الله عليه وسلم وبعده من قولهم طلعت الشمس وغربت الشمس وظاهر ذلك أن الارض ساكنة وان لم يرد تصريح بحركتها ولا بسكونها فيجب علينا معشر المسلمين الايمان بما تعطيه ظواهر هذه النصوص والاخذ بقول جمهور العلماء فيما فهموه منها وتأويل بعض العلماء المخالف للجمهور وان كان الاخذ به لا يضر في الدين بفساد الايمان لانه جار على تأويل مناسب ولكن حيث لم يظهر لنا داع قوي يدعو لذلك التأويل فالأخذ بقول الجمهور واعتمادنا على ما فهموه من النصوص يكون هو الموافق لقواعد الدين الاسلامي

فان قيل ان المتأخرين من الفلاسفة الفلكيين يدعون أنهم بارصادهم وبوسائط الآلات التي اخترعوها للنظر في أحوال السماويات قد ثبت عندهم أنه لا يوجد في الكون الا الكواكب وان أرضنا التي نحن عليها

هي كرة ومعدودة من جملة الكواكب وان الشمس واقفة في الوسط تدور فقط على محورها دورة بطيئة والارض وجميع الكواكب تدور حولها بواسطة ناموس يسمى ناموس الجاذبية وان لأرضنا كالغيرها من الكواكب دورتين دورة سنوية حول الشمس منها تتولد الفصول الاربعة ودورة يومية على محورها ومنها تتولد أوقات الليل والنهار بواسطة مقابلة نور الشمس تارة والاستتار عنه أخرى وان الذي نراه من الزرقة انما هو لون الجو وليس هو سماء اذ لا وجود للسموات عندهم ولا يقولون بوجود أرضين غير هذه الارض وشاعت أقوالهم هذه وأخذ بها الكثير من عامة الاسلام من غير التفات الى التوفيق بينها وبين النصوص الشرعية التي تقدمت فكيف يكون التوفيق وما الحكم في ذلك قلنا قد تقدم لك أنه يجب علينا اعتقاد ظواهر النصوص الشرعية واعتماد ما عليه الجمهور في فهم معانيها ولا يجوز لنا تأويل النصوص وصرفها عن ظواهرها الا لداع قوي وهو قيام الدليل العقلي القاطع المناقض لظواهر النصوص ولا يجوز لنا تقليد علماء الاسلام في أمر الاعتقاد من غير أن يظهر والنا دليلا عقليا أو شرعيا فكيف بمن سواهم وعلى هذا فمن بلغه منا معشر المسلمين أقوال أولئك الفلكيين المتأخرين من غير دليل عقلي قاطع يثبت كل مسئلة من المسائل التي يدعونها فيما تقدم أو بدليل ظني لا ينتج اليقين فعليه أن لا يلتفت لكلامهم ولا يتحول عن اعتقاد ما تعطيه ظواهر النصوص

الشرعية التي تقدم نقلها ولا يهمل اعتماده على ما فهمه جمهور علماء الاسلام منها هذا هو الواجب عليه والحافظ لايمانه من الاختلال وأما اذا بلغ أحدا منا كلامهم المتقدم مع اقامتهم له الدليل العقلي القاطع الدال على كل مسألة من المسائل المذكورة من مسائلهم و يكون ذلك مناقضا لظواهر النصوص التي تقدمت بخصوص تلك المسائل فعليه أن يرجع حينئذ الى القاعدة الكلية التي تقدم لنا تقريرها وهي تأويل تلك النصوص وصرفها عن ظواهرها الى احتمال معان تناسب ما قامت عليه أدلة أولئك القوم العقلية القطعية اليقينية ولا ضرر عليه في ذلك بعد أن يتحقق صحة أدلتهم وافادتها اليقين الذي لا شبهة فيه اذا تقرر هذا فنقول في رد شبهة هذا المقام والتوفيق بين نصوصه و بين ما يفرض تحققه من الادلة اليقينية المناقضة لتلك النصوص

أما قول أولئك الفلكيين ان الكواكب قائمة في الفضاء بناموس الجاذبية وليست مركوزة بسماء فهو أمر جائز عقلا داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى و يكون ذلك الناموس من جملة الأسباب العادية التي وضعها الله تعالى في الاكوان فاذا قام لنا الدليل العقلي القاطع على قيام تلك الكواكب في الفضاء كما يقولون نتأول النص الذي ظاهره أن الكواكب مركوزة في السماء وهو قوله تعالى و زينا السماء الدنيا بمصابيح بأنه من المحتمل أن يكون مراده تعالى بكونها زينة أنها زينتها بحسب مرأى الرائين وان كانت

تحتها كما قال بذلك جملة من علماء الاسلام وتقدم نقله عن مكى و وهب وكثير من المفسرين وكعب ونأخذ بقول من قال من علمائنا ان المراد بأفلاك الكواكب هو مداراتها من الفضاء التى تدور فيها لا أنها أجسام تحملها ولنكون قد جرينا على قاعدة التأويل عند قيام الدليل القطعى المعارض مع الموافقة لجملة من العلماء على أسهل وجه

وأما قول أولئك الفلكيين ان المرئى لنا من الزرقة هو لون الجو فغاية ما عندهم من الدليل ان نظاراتهم المجسمة لم تكشف لهم جسما غير الكواكب قائمة فى الفضاء ولذلك أنكروا وجود السماء ونقول ما المانع ان السماء لشدة بعدها عن الارض بمسافات شاسعة ما عادت النظارات صالحة لان تحقق جسميتها لهم و يمكن أن يكون لونها هو الذى يخفى حقيقة جسميتها وهذا هو الذى أوهمهم عدم وجود جسم فى الفضاء غير الكواكب على أن بعض علماء الاسلام وهو القاضى أبو بكر بن العربى قد قال بأن السماء غير مرئية وتأول النص الذى ظاهره انها ترى كما تقدم ولا يلزم من عدم رؤيتها عدم وجودها كما هو القاعدة المسلمة من أنه لا يلزم من عدم الوجدان عدم الوجود والله تعالى أعلم

وأما قول هؤلاء الفلكيين أن الارض كرة فبعد اقامتهم لنا الدليل العقلى القاطع الدال على كرويتها لا مانع لنا من القول به و يمكن تأويل النص الذى ظاهره انها مبسوطة كقوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) بأن جعل

سطحها صالحا للسكنى بعد أن لم يكن كذلك مع أنها فى نفسها كروية كما قال به الرازى وغيره ولا بد أنه قام الدليل القاطع لدى من قال من علماء الاسلام بكرويتها والله تعالى أعلم

وأما قولهم ان الشمس لا تسير حول الارض وانما هى دائرة بطيئة على محورها والارض هى التى تدور دورتين احداهما سنوية حول الشمس تتولد منها الفصول الاربعة والاخرى يومية على محورها تتولد منها أوقات الليل والنهار فنقول

هذا من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فاذا أقاموا لنا الدليل العقلى القاطع على ذلك فلا مانع من القول به ونتأول ما ظاهره من النصوص الشرعية أن الشمس تسير وهو قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها بان المراد من جريها هو دورانها على محورها وانها تجرى الى استقرار يكون لها بعد ذلك عندما يخرب عالم السموات والارض بمجىء يوم القيامة فانها حينئذ تقف عن تلك الدورة وأن سبحها فى فلكها عبارة عن دورتها على محورها فى الحيز الذى هو فلكها كما تقدم ان الفلك هو الحيز فى تفسير بعض علمائنا وأما الارض فانه وان لم يرد تصريح فى النصوص الشرعية بحركتها أو بسكونها ولكن نسبة الجرى والسبح فى الفلك الى الشمس وظواهر استعمالات الشرع وأهل العصور الاسلامية تدل بالظاهر على أنها ساكنة والحركة اليومية التى نراها انما

هى للشمس والكواكب لا للارض فاذا أقام لنا هؤلاء الفلكيون الدليل العقلى القاطع على ان تلك الحركة اليومية للارض تدور على محورها يمكننا ان نصرف النص الذى ظاهره سير الشمس على ظاهره كما تقدم كما يمكننا ان نقول ان استعمالات الشرع فيما يدل ظاهره على ان الدورة اليومية للشمس لا للارض وجرى على ذلك استعمالات العصور الاسلامية انما كان ذلك جريا على الظاهر المشاهد للعامة ومجاراة لاستعمال الامم وما الفوه فى نظرهم وتكون هذه المسألة من جملة المسائل التى لم يؤذن للرسل بشرحها للعموم لان كشف حقيقتها ليس من مقاصد الشرائع لما تقدم ان مقاصد الشرائع انما هو بيان التوحيد والعبادات ونظام المعاش وأيضا بيان تلك المسئلة ربما قد يعجز عن فهمه كثير من العامة بل ربما يكون فيه للعامة اضطراب واختلال لا سيما الضعفاء منهم الذين يجدون ذلك مخالفا لمشاهدتهم ولسنا نقول ان فهم هذه المسئلة يصعب على اجلاء الصحابة رضى الله عنهم الذين حازوا من المعارف النبوية ما يؤهلهم لفهم أعظم المسائل وأدقها بل نقول ان فهمها يصعب على العامة لا سيما أهل البوادى ولينظر لو قيل للعرب الجاهلية ان الارض هى التى تدور والعالم على ظهرها لا يسقطون عنها ولا ينفصل عنها ماء البحر ونحو ذلك وهم يشاهدون بابصارهم أن الدائر حول الارض انما هو الشمس والكواكب ماذا يكون حالهم حينئذ وما كان يظهر

فيهم من المخالفة والامتناع عن التصديق لهذا القول وانظر الى ما استبعدوه وأنكروه من أمر البعث وأمثال ذلك ولكن الشرائع فى غنية عن بيان مثل مسألة الارض اذ ليست من مقاصدها وأما بيان البعث فهو من مقاصدها لما فيه من الترهيب والترغيب المصلحين للامم فلذلك لم تترك بيانه وان صعب فهمه على كثير بل ذكرته وأقامت الدلائل عليه والملخص أن الشرع جرى فى استعماله على ظاهر الحال ويسمى ذلك فى اصطلاح اللغة تجوزا ولم يظهر الحقيقة للشعب لما قدمنا وهكذا نرى الآن من يعتقدون دورة الارض يجرون فى استعمالاتهم على ما هو ظاهر الحال ويقولون طلعت الشمس وغربت ولم نسمع أحدا منهم يقول قابلنا الشمس أو استترنا عنها وكل هذا جائز فى الاستعمالات اللغوية لقيام الصورة الظاهرية بالمشاهدة وليعلم أن جميع ما قررناه هنا وان كان سائغا ولا ضير فيه إلا أنا لا نقول به إلا بعد إقامة الدليل العقلى القاطع على صحة قول هؤلاء الفلكيين والا فنحن متمسكون بالظواهر لا نفارقها ولا نلتفت إلى أقوالهم وإجماعهم إذ ليسوا معصومين من الغلط كما لم يعصم أسلافهم والله تعالى أعلم

وأما إنكار هؤلاء الفلكيين لوجود السموات السبع والعرش والكرسى والقلم واللوح والجنة والنار فهذا ليس لديهم دليل عليه إلا أنهم ما وجدوا هذه الاشياء ولا رأوها بنظاراتهم المجسمة ونقول ان عدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود فى نفس الأمر وهذا مسلم عند جميع العقلاء فانكارهم لا يعبأ

به ثم اننا نحن و إياهم متفقون على وجود الفضاء الذى لا يتناهى فالمانع من أن الله تعالى خلق تلك الأجسام وراء عالم الكواكب بعد تسليم أن الكواكب قائمة فى الفضاء وتلك الأجسام تكون بعيدة عنا بمسافات شاسعة لا تدركها نظاراتهم أو أنها و إن أدركت بها السماء الدنيا التى هى أول تلك الأجسام فربما تكون تلك السماء ملونة بلون يوجب عدم تحقق جسميتها بالنظارات فهم لم يروا بنظاراتهم ولم يتحققوا إلا جسمية الكواكب فانكروا تلك الأجسام وهى موجودة فى الفضاء الواسع الشاسع وحيث أن ذلك جائز محتمل داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى بأن يخلق سبحانه تلك الأجسام و يقيمها فى ذلك الفضاء كما أقام الكواكب وقد أخبر بوجودها الصادق عليه السلام فنحن نؤمن بوجودها وليس لنا تأويل نصوصها الواردة فيها إذ لا داعى لذلك لعدم قيام دليل قاطع يناقض وجودها ومجرد انكار أولئك القوم ليس دليلا ظنيا فضلا عن أن يكون دليلا يقينيا والله تعالى أعلم

وأما إنكارهم كون الأرضين سبعا فهذا أيضا لا دليل لهم عليه فغاية ما عندهم أن يقولوا أننا لم ننظر غير الكواكب وهذه الارض ونحن نقول أولا أنه لم يتفق جميع علماء الاسلام الذين يعتمد على فهمهم للنصوص الشرعية على حمل النص الذى يدل على وجود سبع أرضين على ظاهره من وجود سبع أرضين منفصلة مستقلة كل واحدة منها بل بعضهم قال إن

المراد بها أقاليم أرضنا السبعة وبعضهم قال ان المراد بها طبقات أرضنا وثانيا اذا جرينا على مانقل عن ابن عباس رضى الله عنه من أن كل واحدة منها منفصلة مستقلة مثل أرضنا وأن فى كل منها عالما كعالمنا فهذا شيء من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى الذى أوجد هذه الكواكب العظيمة التى يوجد بينها مايزيد فى العظم عن أرضنا مئات الالوف فما المانع أن يكون الله تعالى قد خلق ست أرضين غير أرضنا وتكون تلك الارضون قائمة فى الفضاء كما يقول أولئك الفلكيون فى أرضنا وعدم رؤيتهم لها بنظاراتهم يمكن أن يكون بسبب أنها مظلمة السطح لاترى كما أن القمر لايرى عند المحاق ويمكن انهم يرونها بين الكواكب ويحسبونها من جملتها ولاغرابة فى ذلك على أصولهم فكثير منهم من يزعم أن فى الكواكب سكانا ويستدلون على ذلك بادلة ظنية تعلم من الاطلاع على كتبهم فحيث قد تبين أن وجود سبع أرضين لامانع منه وقد أخبر به الصادق فنؤمن بوجودها ولا نلتفت الى كلام هؤلاء الفلكيين الذين لاسند لهم فى انكارها ويسوغ لنا تفسيرها بكل من التفاسير المتقدمة حتى على قول ابن عباس رضى الله تعالى عنه مع توجيهه بما قدمناه والله تعالى أعلم

وقد بقى نص فى القرآن الشريف ترد على ظاهره الشبهة على رأى الفلكيين

المتقدمين والمتأخرين وهو قوله تعالى فى قصة ذى القرنين (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة) فان ظاهره أن الشمس تغرب فى عين من عيون الأرض وكان يجب علينا الايمان بمعناه الظاهر لكن قد قام الدليل العقلى القاطع من لدن المتقدمين على أن الشمس أكبر من الأرض بكثير ودخول الجسم الكبير فى الصغير مع البقاء على مقدارهما من المحال وقام الدليل القاطع أيضا على أن الشمس لا تغرب فى نفس الأرض وعلى هذا فقد صرف العلماء الاسلام هذا النص عن ظاهره الى غير ما يتبادر منه فقالوا يحتمل والله أعلم بمراده أنه تعالى أراد أن ذا القرنين لما بلغ ذلك المكان من بلاد المغرب وجد الشمس بحسب رؤية الرائى تغرب فى عين حمئة لأن الناظر الى الشمس فى سواحل البلاد الغربية يتخيل أن الشمس تغرب فى بحرها الغربى المحيط بها وذلك البحر كثير الحمأة السوداء والظلمة وذو سخونة وليس مراده أنها تغرب فى عين بالفعل ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل فاذا هى تغرب مثلا من العبارات التى تفيد حكاية واقع الامر نصا وهكذا يقول الرجل منا أتى من المكان الفلانى وجدت الشمس تغرب فى البحر أو خلف الجبل أو فى الوادى والحال أن اعتقاده أنها لم تغرب فى واحد منها وإنما حكى صورة رؤيته يؤخذ هذا التأويل من الرازى والجلالين والكواشى كما نقله فى عجائب المخلوقات قال الرازى وما قاله أهل الأخبار من أن الشمس حقيقة تغرب فى العين كلام على خلاف اليقين وكلام الله تعالى مبرأ عن هذه التهمة فلم يبق إلا أن يصار

إلى التأويل والله تعالى أعلم

﴿ الفصل الثانى ﴾

« فى رد الشبه عن النصوص الواردة »
« فى شؤون الملائكة والجن »

قد تقدم لنا فى الباب الثانى وجوب الايمان بالملائكة والآن نقول انه قد وردت نصوص الشريعة متواترة أو مشهورة وأحاديث آحادية لكن لكثرتها وتعدد طرقها بلغ ما يستفاد منها درجة التواتر يدل جميع ذلك على أن الله تعالى خلق اجساما لطيفة نورانية تسمى ملائكة قادرة على التشكل بأى شكل أرادت وأنها تقطع المسافات التى بين السموات والارض فى مدة قصيرة جدا وأنها تمر امامنا ولا نراها وأنها تفعل أفعالا عظيمة تعجز عنها قوى البشر وأنها موكلة بحوادث هذا الكون كنزول الامطار وتدبير عالم الحيوان والنبات وغير ذلك وانه تعالى خلق أجساما أخرى تسمى جنا تشابه الملائكة المذكورين فى بعض خواصها من نحو الاقتدار على التشكل والاحتجاب عن الابصار والاقتدار على اعمال عظيمة ولكنها تخالفهم بأنها ليست نورانية مثلهم وأنها مكلفة كالبشر فنهم المؤمن الطائع والعاصى والكافر وقد وردت شبه على وجود الملائكة والجن وشؤونهم من نحو الاقتدار على التشكل والاعمال الشاقة مع أنهم أجسام لطيفة وغير

ذلك من بعض الفلاسفة المتقدمين وتبعهم المتأخرون ونقول في بيان رد تلك الشبهة واظهار أنها أوهام لاتقوم لدى الايمان بعظمة قدرة الله تعالى على ايجاد الملائكة والجن في تلك الشؤون والاحوال

اعلم انه من الممكن الجائز عقلا ان الله تعالى عظيم القدرة واسع العلم قد خلق الملائكة من مادة لطيفة كمادة الهواء أو الاثير الذي يقول به المتأخرون من انه مادة لطيفة جدا مالئة الكون لاترى وقد كونهم سبحانه من تلك المادة وجمع أجزاءهم بكيفية صالحة لتلك الخواص والشؤون التي ذكرناها لهم كما كون سبحانه الحيوان من العناصر الجامدة بكيفية أكسبته قبول الحياة وجميع قواها من الادراك والحركة وغير ذلك بعد أن لم يكن للعناصر شيء من ذلك و يحتمل حينئذ أن عدم رؤيتنا اياهم لشفافتهم ولطافتهم كالهواء والاثير على أن الامر ظاهر جدا على ماثبت لدينا معشر المسلمين من أن الرؤية بمحض خلق الله تعالى فمن الممكن ان الله تعالى لايخلق رؤيتنا لهم عند مرورهم امامنا ثم ان اقتدارهم على التشكل مع أنه جائز عقلا داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى يمكن توجيهه و بيان كيفيته تقريبا بامكان للعقول أن الله تعالى كون تلك الاجسام على كيفية يقتدرون بها على تناول كمية من الهواء أو الاثير أو نظير ذلك وتكثيفها وتكوينها على الصورة التي يريدونها ثم يلبسونها كما يلبس الثوب فيظهرون للابصار بتلك الصور وفي الاعمال الكيماوية التي أقدر الله تعالى البشر عليها من تحويلات

الاجسام الى بعضها كتحويل الكثيف لطيفا واللطيف كثيفا مما يقرب فهم ما قررناه الى العقول وحيث أن تشكل تلك الاجسام كيفما كان هو مستند الى عظمة قدرة الله تعالى الذى تدهش أعماله الافكار فيما أعطاه للحيوان والنبات من الخواص فلا غرابة فى ذلك وكل مؤمن بذلك الاله وبعظيم قدرته وواسع علمه لا يستبعد حصول ما ذكر للملائكة

وأما أنهم يعملون أعمالا عظيمة تعجز عنها قوى البشر مع أنهم أجسام لطيفة فبعد النظر الى أعمال الرياح التى تقلع الاشجار العظيمة وتهدم الابنية الجسيمة وأعمال القوة الكهربائية التى تجر الاثقال التى يعجز عنها ألوف الرجال لا تجد فى نسبة تلك الاعمال للملائكة مع أنهم أجسام لطيفة شيئا من الغرابة لا سيما وان الذى يقدرهم على تلك الاعمال هو الله تعالى الذى لا يعد ذلك بالنسبة الى عظيم قدرته شيئا صعبا واذا نظرنا الى أن بعض الناس يكسر بقوة ذراعه الحديد وما هى قوة ذراعه الا عمل أعصابه مع عضلاته التى تنتهى أخيرا الى مخه اللطيف النحيف الذى هو مبدأ حركة الاعضاء على ما يقوله أولئك الفلاسفة والمخ للطافته لا يتحمل أذى مصادمة من جسم غريب بل صعود نقطة دم زائدة على القدر اللازم له قد تفسده وتعدم صاحبه الحياة ظهر لنا أن الله تعالى قادر على اعطاء اللطيف قوة لا توجد فى الصلب الكثيف سبحانه من قادر عليم وأما ان الملائكة يقطعون المسافات الشاسعة بين الاجسام السماوية وبينها وبين الارض بمدة قصيرة جدا فنقول

لامانع منه عقلا لان سرعة الحركة ليست محصورة بحد يسير فلينظر الى ماقاله أولئك الفلاسفة من أن الجسم الساقط الى الارض فى أول ثانية من سقوطه تكون سرعته ستة عشر قدما واذا كان سقوطه الى الشمس تكون سرعته فى تلك الثانية أربعمائة وخمسين قدما ثم ان الجسم يسقط فى أى عدد كان من الثوانى بعد الثانية الاولى مايساوى مقدار مايسقط فى الثانية الاولى مضروبا فى مربع ذلك العدد من الثوانى فبالتأمل فى هذا الناموس يعلم ماتبلغه سرعة حركة الاجسام من العظمة التى يحتار فيها الفكر وكذلك عندهم فى علم الهيئة ان نجم المشترى يجرى ثلاثين ألف ميل فى الساعة أى أسرع من كلة مدفع ثمانين مرة فيجرى تسعة أميال كلما تنفس الانسان وسرعة أجزائه الاستوائية فى دورانه على محوره أربعمائة وسبعة وستون ميلا كل دقيقة ففى الساعة يقطع كل جزء من تلك الاجزاء سبعة وعشرين ألفا وتسعمائة وعشرين مرة والمشترى أكبر من أرضنا بألف وأربعمائة مرة على مايقوله الفلكيون منهم فالذى جعل هذا الجسم الكثيف العظيم وكل جزء من أجزائه الاستوائية تقطع تلك المسافة الشاسعة فى تلك المدة الجزئية لايبعد على قدرته أن يجعل الملك يقطع تلك المسافات بين السموات والارض فى مدة قليلة جدا وان كانت هذه المسافات أكثر بكثير من المسافات التى يقطعها المشترى وأجزاؤه لكن النظر الصحيح فى سير ذلك الكوكب

يقنع العقل بأن قدرة الله الذى سيره ذلك السير صالحة لاعظم ما يكون من جنس هذا العمل لاسيما ناموس الاجسام الساقطة قد بين عظم سرعة حركة الاجسام وان قيل ان سير المشترى هو بواسطة الجاذبية على ماهو مفصل فى كتب أولئك القوم وكذلك سرعة الاجسام الساقطة قلنا وماهى تلك الجاذبية التى ينسبون اليها أعمالا عظيمة فى الكائنات وهم يعجزون عن الافصاح عن حقيقتها وعماهو الموجب لقيامها فى الاجسام وغاية ما يكون منهم أنهم يقولون بها لتعليل الحوادث التى حيرت عقولهم من نحو النظام الشمسى أى دوران الكواكب حول الشمس وغيره وبعد تسليم ثبوتها نقول من الذى أوجدها وجعلها خاصة الاجسام اوأنشأ عنها تلك الحوادث العظيمة فى الكائنات أغير الاله الذى أبدع الخلق من العدم ووضعه على أتم نظام وأسمى حكم فاذا كان ذلك الاله قادرا على ايجاد مثل هذه الجاذبية واحداث حركات الاجسام السريعة عنها فلا يعجز أن يجعل الملك يقطع تلك المسافات فى مدة وجيزة امابخاصة وضعها فيه وامابغير خاصة فالكل جائز عقلا وقدرته صالحة لكلا الأمرين وليعلم أن جميع ماقررناه فى حق الملائكة يقال مثله فى شأن الجن من القدرة على التشكل والاعمال العظيمة وقطعهم المسافات الطويلة فى برهة قليلة وعدم رؤيتنا لهم والاستدلال واحد لايخفى على الفطن الذكى والله تعالى أعلم

نقول ومن هذا المقام تبين لك اندفاع الشبهة التى ترد على الاسراء والمعراج

الذين خصلا لسيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم والشبهة التي ترد على انتقال عرش بلقيس من بلاد اليمن الى مجلس سليمان عليه السلام في لمحة طرف أما الاسراء والمعراج فقد ورد في القرآن الشريف أن الله تعالى أسرى بسيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم في ليلة واحدة من المسجد الحرام في مكة الى المسجد الاقصى في القدس وورد في الاحاديث الصحيحة التي بلغت بكثرتها درجة القطع بثبوتها أن الله تعالى أصعده في تلك الليلة الى السموات العلى ثم أعاده الى مكة في نفس تلك الليلة قبل أن يطلع الفجر فيجب علينا الايمان بذلك حتى أن كثيرا من العلماء يذكرون الاسراء والمعراج في جملة العقائد التي يجب الايمان بها وانما أخرنا ذكرهما الى هنا البيان دفع الشبهة عنهما في مناسبة هذا المقام فنقول حيث قد ظهر هنا أن سرعة الحركة للأجسام مهما بلغت القدر العظيم فهي من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فما المانع أن الله تعالى ينقل ذات سيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم في ليلة واحدة من حرم مكة الى حرم القدس ثم الى السموات العلى ثم يعيده في تلك الليلة الى مكة فمن يؤمن بوجود الله تعالى ويتبصر في أعماله في هذه الاكوان ويعتقد أن سيدنا ﴿ محمدا ﴾ رسوله وقد أخبرنا بأنه قد حصل له ذلك الانتقال السريع في تلك المسافات وهو صادق معصوم عن الكذب لا يتوقف بتصديق قصة الاسراء والمعراج ويؤمن بذلك من دون تردد ولا

يجده الا من الأمور الجائزة الداخلة تحت تصرف قدرة ذلك الاله العظيم وأما من لم يكن مؤمنا بوجود الاله سبحانه وعظيم قدرته ولم يعتقد برسالة رسوله فهذا الصواب فى حقه أولا أن يرشد الى الايمان بالله تعالى و رسوله بواضح البرهان و بعد ذلك يسهل عليه تصديق نصوص الأحاديث والقرآن والله الموفق

وأما قصة مجىء عرش بلقيس من بلاد اليمن الى مجلس سليمان فى لمحة طرف فقد وردت هذه القصة فى القرآن الكريم وأنها حدثت على يد من عنده علم من الكتاب فبعض المفسرين قال انه آصف بن برخيا وزير سيدنا سليمان عليه السلام فيكون مجىء ذلك العرش كرامة أظهرها الله تعالى على يده لانه من أولياء الله تعالى و بعضهم قال إنه نفس سليمان عليه السلام فيكون ذلك معجزة أظهرها الله تعالى على يديه اذ هى أمر خارق للعادة ومن تأمل فى هذا المقام وظهر لديه أن سرعة حركة الأجسام مهما بلغت فهى من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فلا يصعب عليه الايمان بهذه القصة والله على كل شىء قدير

﴿ الفصل الثالث ﴾

(فى رد الشبه عن بعض النصوص الشرعية)

(الواردة فى الامور الجوية كالمطر ونحوه)

اعلم أن الآيات الواردة فى القرآن الشريف فى شأن المطر هى على قسمين

منها ماظاهره أن المطر ينزل من السماء ومنها ماظاهره أنه ينزل من السحاب ثم ان السماء تطلق فى اللغة العربية التى جاءت هذه الشريعة الاسلامية بها على عدة معان كما فى قواميس تلك اللغة منها السماء التى هى مسكن الملائكة ومنها سقف كل شئ وكل بيت ومنها كل ما علا الشئ فهو سماؤه ومنها السحاب ومنها المطر وبناء على ماتقدم من وجود اعتمادنا على المعنى الظاهر المتبادر من النص مالم يقم دليل قاطع على خلافه علينا أن نعتقد المعنى الظاهر المتبادر من لفظ السماء المذكور فى إنزال المطر وهو مسكن الملائكة كما هو المراد فى كثير من الاستعمالات الشرعية ونوفق بين النصوص التى ظاهرها نزول المطر من السماء والتى ظاهرها نزوله من السحاب بأن الله تعالى ينزله من السماء على البخارات المجتمعة فى الجو المسماة بالسحاب ثم ينزله منها الى الارض فتارة تذكر النصوص محل نزوله الاول وتارة تذكر محل نزوله الثانى والله أصدق القائلين ونقل عن قطب العارفين سيدنا السيد أحمد الرفاعى قدس سره العزيز فى بيان هذا التوفيق أن المطر قسمان مطر ينزل من السماء وهو الذى يكون بسببه خروج النبات ومطر يتكون من بخارات الأرض وبحارها ويتصاعد الى الجو ثم ينحدر من السحاب وهذا لا يكون به الانبات وان كان له حكم ومنافع الله أعلم بها ثم اذا ثبت بالدليل العقلى القاطع مايقوله الفلاسفة المتقدمون والمتأخرون من أن المطر ليس الا من بخارات الارض وبحارها يتصاعد الى الجو بسبب

الحرارة ثم ينعقد بسبب البرد سحابا ثم يتحلل مطرا وتحقق ذلك بدون ريب ساغ لنا حينئذ على موجب القاعدة المتقدمة أن نؤول النصوص التي يتبادر منها أن المطر ينزل من السماء التي هي مسكن الملائكة بأن المراد بالسماء في هذه النصوص هي ما علانا وصار سقفا لنا وهو السحاب كما هو أحد معانيها اللغوية وقد ذكر هذا التأويل الامام الرازي في تفسير سورة البقرة وأشار اليه الشيخ الشرنبلالي في شرح مراقي الفلاح أو أن يقال انه لما كان نزول المطر بأسباب سماوية من جملتها حرارة الشمس المرسلة أشعتها الينا من جهة السماء فتثير وتصعد الاجزاء المائية من أعماق الارض ومن البحار والانهار الى جو الهواء فينعقد سحابا فيمطر كان الانزال من السحاب حقيقة ومن السماء مجازا باعتبار السببية والله مسبب الاسباب وقد ذكر هذا التأويل الشيخ اسماعيل حقي في تفسير سورة النبأ وعلى كل فقد اندفعت الشبهة ووافقت النصوص الشرعية حكم العقل والله تعالى أعلم

وان قيل ما حقيقة الرعد والبرق والصاعقة فان الفلاسفة المتأخرين يقولون إنها ناشئة عن عمل القوة الكهربائية المتكونة في السحاب وأقاموا على ذلك في كتبهم الدلائل من نوع قياس الغائب على الشاهد قلنا اختلف علماء الاسلام المتقدمون في ذلك فقال بعضهم الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه حيث شاء الله تعالى والصوت المسموع صوته ويسمى رعدا أيضا وبيده مخاريق من نار يسوق بها السحاب والبرق ماينقدح من تلك

المخاريق واذا اشتد غضبه طارت من فمه نار هي الصاعقة واستند أصحاب
هذا القول الى حديث أحادي روي في ذلك وقال بعضهم ان الرعد خلق
من خلق الله تعالى ليس بملك وروى هذا عن الحسن أي البصري وقال
بعضهم إن الرعد والبرق والصاعقة تتولد من اضطراب أجرام السحاب
واصطكاكها فينشأ هذا الصوت المسمى رعدا وينقدح ذلك اللمع المسمى
برقا والصاعقة قصفة رعد هائلة معها نار لا تأتي على شيء إلا أتت عليه بالهلاك
وعبر البيضاوي عن هذا القول بأنه المشهور ولعله مراده المشهور بين
علماء المعقول إذا تقرر هذا فاعلم أن اختلاف العلماء في هذه الاشياء دليل
على أن الحديث الذي استند إليه أصحاب القول الأول لم يصح عند الفريق
الثاني الذين خالفوهم والا لما قالوا بغير مضمونه فيكون اعتقاد مضمون
القول الاول ليس واجبا علينا كبقية العقائد الاسلامية إذ ليس النص
الذي استند إليه من النصوص الثابت ورودها عن الرسول قطعيا كالمتواتر
والمشهور ولكن الصواب عدم مخالفة الحديث وان كان أحاديا واذا لم يقم
دليل قاطع على ثبوت خلافه فجميع ما ذكر فيه هو من الجائز العقلي
الداخل تحت تصرف قدرة الله تعالى فما المانع أن يكون الله تعالى عظيم
القدرة قد خلق ذلك الملك ووكله بتدبير أمر السحاب والامطار وينشأ
عنه تلك الحوادث من الصوت العظيم والبرق والصاعقة وأما إذا ثبت بالدليل
العقلي القاطع أن تلك الحوادث الثلاث إنما هي من فعل الكهرباء فلنا

حينئذ تأويل نص ذلك الحديث الاحادى فنقول

لا مانع أن الله تعالى قد خلق ملكا وكله فى تدبير شؤون الأمطار وتلك الحوادث الناشئة عن القوة الكهربائية التى لا بد فيها من حكم باهرة إنما مبدؤها تدبير ذلك الملك وتصرفه فى السحاب فأراد بالحديث إفادة أن شؤون المطر وتلك الحوادث مرجعها ذلك الملك مع تمثيل وتصوير عظمته فعبر عن الرعد بصوته والبرق بلمعان مخاريقه والصاعقة بشرارة فمه والمراد من جميع ذلك التمثيل والتصوير وهذا الاسلوب مستعمل فى اللغة العربية يفهم أصحابها ما هو المقصود منه وورد نظيره فى إستعمالات الشرع الشريف فما ورد فى كلام أهل اللغة العربية منه قول بعضهم يمدح رجلا

إن السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرجى

فانه من المعلوم أن السماحة والمروءة والندى هى معان لا يمكن أن توضع فى قبة مع الممدوح وإنما المراد تمثيل وتصوير ملازمة ذلك الممدوح لتلك الصفات الكريمة حتى كأنما ضربت عليها وعليه قبة ومما ورد منه فى إستعمال الشرع الشريف قوله تعالى (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) فانه قد يؤول بأن المراد منه تمثيل وتصوير عظمة الله تعالى وقدرته وعظمة سلطانه والا فهو سبحانه ليس مشابها للحوادث ويستحيل ملاصقته لها بأن يقبض على الارض ويأخذ السموات بيمينه سبحانه وبهذا يتضح التوفيق بين ذلك الحديث الاحادى وبين

مافرض ثبوته بالدليل القاطع من كلام الفلاسفة المتأخرين والله تعالى أعلم

فان قيل قد ورد فى القرآن الشريف مايفيد أن الله تعالى جعل الكواكب زينة السماء الدنيا وجعلها حفظا من الشياطين ورجوما لهم لانهم يصعدون الى قرب السماء لاستراق السمع من الملائكة ومن المعلوم ان الفلكيين يقولون بكبر كثير من الكواكب حتى أن منها ماهو أكبر من الارض بمرات و ورد أيضا فى بعض الآثار مايدل على كبر البعض منها ولو رجمت الشياطين بهذه الكواكب الكبيرة لسقطت على الأرض وأضرتها ولكان يظهر النقص فى الكواكب المرئية لنا على طول الزمان قلنا ليس المراد من النص القرآنى إن نفس الكواكب الكبيرة تكون رجوما حتى يلزم ذلك بل المراد كما قال الامام الرازى فى تفسير سورة الصافات وتفسير سورة الملك أن تنفصل شعل من الكواكب ترجم بها الشياطين وهى الشهب التى نراها منقضة من جهة السماء أو أن الكواكب قسمان قسم منها الكبير الثابت الذى لا يتغير ولا ينقض وقسم منها الصغير الذى ينقض و يكون رجما للشياطين وهى هذه الشهب التى نراها منقضة فان قيل إن الفلكيين المتأخرين يقولون إن الشهب أجسام صغيرة سابحة فى الفضاء تنجذب أحيانا الى الأرض عند قربها منها وتنقض ملتهبة من سرعة الحركة قلنا لم يقل النص القرآنى أن كل شهاب فهو رجم

للشياطين بل مفاده ان الكواكب رجوم للشياطين في الجملة فما المانع
أن الله تعالى خلق تلك الأجسام وأقامها في الفضاء وهي من جملة
الكواكب ولكنها صغيرة فتارة تنقض إلى جهة الأرض بسبب جذب
الأرض لها عند قربها منها وتارة يرسلها الله شهبا على الشياطين المسترقين
للسمع فقد ظهر مصداق النص القرآني إن الله تعالى جعل النجوم زينة
و رجوما فالزينة بكبارها والرجوم ببعض صغارها فالفلكيون ما علموا
غير ما دلتهم عليه أرصادهم ونحن قد علمنا أن من الكواكب ما يكون
رجوما للشياطين وهو بعض تلك الاجسام الصغيرة وثبت عندنا ذلك باخبار
القرآن الشريف الصادق ولا إشكال في ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم
فان قيل إذا ثبت ما يقوله الفلكيون من أن الأرض كرة قائمة في الفضاء
ليست مركوزة على شيء فما يقولون في الأثر المروي عن بعض الصحابة
رضي الله تعالى عنهم انه سئل سيدنا عيسى عليه السلام عن الارض فقال
إنها على ثور والثور على صخرة والصخرة على ظهر الحوت والحوت
في بحر والبحر على الريح وتحت الريح ظلمة قلنا هذا الاثر ولو فرض نقله
حديثا ليس آية قرآنية ولا حديثا متواترا ولا مشهورا حتى يجب علينا
الايمان به كبقية العقائد الاسلامية لعدم اليقين بثبوته وعلى فرض ثبوته
عن سيدنا عيسى عليه السلام فيمكن تأويله بكونه من ضرب الامثال
وكثيرا ما ترد الرموز وضرب الامثال في كلام سيدنا عيسى عليه السلام

كما يعلم ذلك من تتبع المنقول عنه والله أعلم

﴿ الفصل الرابع ﴾

(فى رد شبه شتى عن نصوص شرعية)

إعلم أنه قد ورد فى القرآن الشريف ما يفيد أن الله تعالى خلق آدم أبا البشر عليه السلام إبتداء من طين بدون أب ولا أم وورد انه سبحانه خلق زوجته حواء منه وقال بعض المفسرين ان المعنى أنه خلقها من جنسه ونوعه كما قال تعالى (وخلق لكم من أنفسكم أزواجا) وقال أكثر المفسرين انه خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى واستندوا فى ذلك الى حديث أحادى ورد فى ذلك وورد فى القرآن أيضا أن الله تعالى خلق سيدنا عيسى عليه السلام من السيدة مريم رضى الله تعالى عنها من دون أب قال علماء الاسلام إن فى خلق هؤلاء المذكورين بهذه الطرق مع خلق بقية البشر على الطريق المعتاد إشارة من الحق تعالى للعباد على تمام قدرته بخلق الانسان على أى كيفية أراد فخلق آدم بدون ذكر وأنثى وخلق حواء من ذكر وخلق عيسى عليه السلام من أنثى وخلق بقية البشر ذكورا وإناثا من ذكر وأنثى ومن يؤمن بوجود الله تعالى وبكمال قدرته ويتصور ما أبدعه من الحيوانات والنباتات من التراب لا يصعب عليه الايمان بخلق آدم وحواء وعيسى بالكيفات المذكورة إذ لا دليل على استحالة شئ من

ذلك وقد أخبر به الصادق ومايقوله بعض المتأخرين من الفلاسفة فى حق
الانسان و بقية الحيوانات من أنها تولدت من عناصر الأرض ثم اشتق
بعضها من بعض بتفاصيل مستطيلة و يسمون قولهم هذا مذهب النشو فهو
قول مبنى على الظنون والاوهام لامستند له فى باب اليقين كما أوضحت
ذلك فى الرسالة الحميدية فى حقيقة الديانة الاسلامية فلينظر هناك فلا داعى لنا
الى تأويل النص الوارد فى خلق آدم من تراب كما يعلم من القاعدة التى تقدم
تقريرها من أنه لا يسوغ لنا تأويل النص الشرعى الا اذا قام الدليل القاطع
على ماينافض المعنى المتبادر منه وعلى فرض قيام الدليل القاطع على
مايقوله هؤلاء الفلاسفة فيمكن تأويل هذا النص فى خلق آدم وحواء
بتأويلات مناسبة كما بينته فى الرسالة الحميدية أيضا فارجع اليه وأما من لم
يكن مؤمنا بالله تعالى وعظيم قدرته فهذا الصواب فى حقه كما تقدم مرارا
اقامة الشواهد له حتى يصير مؤمنا بالله تعالى و بعد ذلك يتضح له صدق تلك
النصوص والله أعلم

كذلك قد ورد فى القرآن الشريف فى قصة أهل الكهف مايفيد أنهم لبثوا
فى كهفهم ثلاثمائة وتسع سنين وجاء شرح قصتهم فى الاحاديث الشريفة
انهم أشخاص مؤمنون على دين سيدنا عيسى الصحيح خافوا من اجبار
ملكهم لهم على الكفر وعبادة الاوثان فاختبؤا فى ذلك الكهف وأرسل
الله عليهم النوم وحفظ حياتهم تلك المدة ثم بعد يقظتهم عادوا فناموا وسد

عليهم القوم الذين اطلعوا عليهم باب الكهف فهذا الحال من الجائزات العقلية إذ لا مانع من أن الله تعالى يحفظ حياة النائم سنين عديدة فان الغذاء ماهو إلا سبب عادي في حفظ الحياة والله تعالى قادر على حفظها بدون الغذاء وقد يوجد في الحيوانات لا سيما من نوع الحياة ما ينام تحت التراب مدة الشتاء لا يأكل ولا يشرب و يحفظ الله تعالى عليه حياته تلك المدة وكذلك قال بعض الباحثين عن طبقات الأرض أن بعض الحيوانات الصغيرة قد تخمد تحت التراب ألوفا من السنين وهي محفوظة الحياة واستشهد على ذلك ببعض ما أكتشفوه ولا يلزم من وجود أهل الكهف الآن أن يطلع عليهم الباحثون عن الآثار القديمة فكم من البقاع لم يصلوا اليها ولم تطأها أقدامهم ولم يرد حديث صحيح بتعيين مكانهم والله تعالى أعلم

وكذلك قد ورد في نصوص القرآن الشريف وفي أحاديث كثيرة ما يدل على ان الرؤيا المنامية قد تدل على أمور تحدث في اليقظة اما صراحة واما بنوع إشارة تحتاج للتفسير قال العلماء ان الرؤيا المنامية هي تصورات فكرية تحدث في ذهن النائم على أنواع منها ما سببه بخارات الطعام ومنها ما سببه تفكر الانسان في أشياء حالة اليقظة فيراها أو يرى ما يناسبها في حالة النوم ومنها ما سببه من الشيطان لأجل غرور الناس أو ادخال الحزن عليه أو نحو ذلك من مقاصده الخبيثة ومنها ما يكون من جانب الله تعالى تبشيرا للعباد أو تحذيرا أو غير ذلك إما صراحة وإما اشارة وهذا القسم بنوعيه هو

الذى ورد فى الشريعة أنه جزء من الوحى وكل هذه الأقسام جائزة لا تستلزم محالا عقليا وللقسم الاخير شواهد كثيرة تنقل فى التواريخ القديمة الى هذا الزمان ونظن انه قل أن يخلو شخص من حصول شئ له من ذلك فى مدة عمره ولكن يوجد فى فلاسفة هذا العصر من ينكر هذا النوع الأخير من الرؤيا وينكر دلالتها على شئ فى اليقظة بدون دليل منه على استحالته أو عدم وجوده واذا نقل اليه بعض الشواهد التى حدثت لبعض الناس من هذا النوع يؤول ذلك الشاهد بتأويلات واهية سخيفة فالذى نعتقده أن دلالة هذا النوع من الرؤيا على أمور تحدث فى اليقظة هو أمر جائز عقلا وقد أخبرت بوقوعه نصوص الشريعة فنؤمن به ونصدق كذلك قد ورد فى بعض النصوص القرآنية والاحاديث النبوية ما يفيد أن للسحر حقيقة وآثارا فى الخارج قال العلماء إن من السحر ما يوجد له حقيقة وآثار فى الخارج مثل قلب بعض صور الحيوان الى صورة أخرى وقتل الحيوان والاضرار ببعض الاجساد وذلك ناشئ إما عن خاصية فى نفس الساحر خصه الله تعالى بها أو عن استعمال الساحر بعض الرقى والعزائم ولكن كل ما يحدث من آثار ذلك فى الخارج فهو بمحض خلق الله تعالى وتلك الخاصية فى الساحر واستعماله بعض الرقى والعزائم ما هو الا من الاسباب العادية التى جرت عادة الله تعالى فى إحداث مسبباتها عندها وليس الساحر خالق الشئ من تلك الاثار ومن السحر ما لا أثر له فى الخارج حقيقة وانما يحدث عنه فى

نظر الرائى وفكره صور وهمية متخيلة يظن الرائى أن لها وجودا فى الخارج والحال ليس كذلك وتلك الصور الخالية تحدث إما بواسطة أعمال كيماوية أو باستعمال النواميس الطبيعية كنواميس النور فيرى الانسان آثارا فى الخارج لا حقيقة له فيه واما بوسائط أخرى كسرعة العمل وغير ذلك قال أهل السنة والجماعة لا مانع أن الله تعالى يوجد فى بعض النفوس خاصة التأثير بالأجسام وقلب صورها واحداث الاضرار ونحو ذلك أو يحدث ذلك عند استعمال بعض الرقى والعزائم ولكن كل ذلك بخلق الله تعالى وجعله تلك الخاصة والرقى والعزائم اسبابا عادية تحدث عندها تلك الآثار كما لا مانع من خلق الله تعالى تلك الصور الخالية المتوهمة التى لا حقيقة لها فى الخارج عند استعمال بعض النواميس التى تنشأ تلك الصور عنها وان قيل لو جوزنا وقوع السحر يلزم اشتباه الساحر بالرسول الذى يأتى بالمعجزة قلنا إن الرسول يدعى الرسالة من عند الله تعالى و يصدقه الله تعالى باظهار المعجزة على يديه والساحر لا يدعى الرسالة وان أراد ادعاءها فمن حكمة الله تعالى أن لا يظهر الأمر الخارق للعادة على يديه أو أنه ان ادعى الرسالة كان من حكمة الله تعالى ان يطلع بعض من يدعى بينهم على حقيقة أعماله السحرية فلا يلتبس عليهم الحال بالمعجزة كما قال الرازى فى حكمة تعليم الملكين الناس السحر وقد نقلناه فيما تقدم فهذا يكون الفارق بين المعجزة والسحر فان قيل إن الفلاسفة المتأخرين أنكروا وجود السحر من النوع الاول وهو

أن يكون على يد الساحر ظهور بعض الحقائق من قلب الصور والاضرار بالغير بواسطة خاصية بنفسه أو استعمال بعض الرقى والعزائم واحتجوا على ذلك بأنه لا يظهر فى العقل ارتباط بين تلك الوسائط وظهور تلك الحقائق فى الخارج وبأن فى جميع ما اكتشفناه من حقيقة حال السحرة فى هذا الزمان أن جميع ما يظهر على أيديهم هى صور وخيالات لا حقيقة لها فى الخارج وهى تحدث على أيديهم بواسطة استعمال بعض النواميس أو بواسطة خفة اليد وسرعة العمل وكثير من السحرة من أقر بان ما يظهره للعيان ما هو الا صور خالية لا حقيقة لها قلنا إنا معشر أهل السنة نقول ان عدم ظهور ارتباط بين تلك الواسائط وهى خاصية النفس واستمال الرقى والعزائم وبين ظهور تلك الحقائق فى الخارج لا يلزم منه عدم وجوده فى نفس الامر فربما يكون ذلك الارتباط موجودا وهم لم يطلعوا عليه لاسيما وأمر السحر شيء خفى ووجود السحرة قليل وفى أزمنة متباعدة وهذا المغناطيس لاشك أنه يجذب الحديد ومع ذلك لم يطلع هؤلاء القوم على حقيقة السبب الذى به توجد هذه الخاصية ولم كان يجذب الحديد دون غيره غاية ما يقولونه ان تركيب أجزاء المغناطيس تقتضى ذلك وهذا ادعاء لسبب مجمل غير واضح ولا مقنع للعقل فيه على اننا نقول إن وجود تلك الحقائق على يد الساحر بمحض خلق الله تعالى وهذا لا مانع منه سواء كان هناك سبب موجب أولم يكن وأما قولهم إنا فى جميع ما اكتشفناه من حقيقة حال السحرة فى هذا

الزمان قد اتضح لدينا أن جميع مايظهر على أيديهم منه هى صور وخيالات لا حقيقة لها فى الخارج

فنقول أولا لا نسلم أنهم اطلعوا على أحوال كل ساحر فى هذا الزمان وثانيا لامانع أن يكون النوع الاول من السحر قد فقد من العالم كما فقدت عدة علوم وبقى النوع الثانى فقط الذى اطلعوا عليه ونحن لا نقول بوجود النوع الاول دائما حتى فى هذا الزمان بل فى نفس الامر هو عزيز الوجود ولا يوجد صاحبه الا فى أزمنة متطاولة فالملخص أننا معشر أهل السنة نقول بوجود السحر لا سيما فى الازمنة الغابرة كما جاءت بذلك النصوص وبأن أثره بمحض خلق الله تعالى وان لم نطلع على وجود شىء منه فى هذا الزمان والله أعلم

كذلك قد ورد فى بعض الاحاديث الاحادية أن لبعض الأعين تأثيرا فى سقم بعض الاجسام واضرارها وحمل عليه بعض المفسرين تفسير بعض الآيات وقد أنكر هذا بعض الفلاسفة المتأخرين والمتقدمين قالوا كيف يعقل أن العين تعمل من بعد وتؤثر فى الاجسام بالاسقام والاضرار ونحن نقول

إن ذلك من الجائزات العقلية وحقيقة ذلك التأثير بخلق الله تعالى والعين سبب عادى واذا أريد بيان ذلك التأثير عقلا فنقول إن الناس مختلفون فى خواصهم كما يكون الاختلاف بين أصناف الحيوانات فالمانع من أن

يكون في الناس ذو طبيعة في نفسه ذات سم وضرر فاذا نظر شيأ بعينه وأعجبه وتوجه بنفسه اليه انفصل من عينه في الهواء مادة سامة اذا وصلت الى المرئي ضربت به وأي مانع من انفصال مادة من العين عند الانفعالات النفسية كما تنفصل منها الدموع عند ذلك وقد قال بعض المتكلمين على خواص الحيوانات إن من الأفاعي ماينظر الى الانسان فيموت بنظره وما يصوت فيموت السامع بصوته واذا صح هذا فتلك الأفعي لم يكن قتلها من بعد الا بواسطة سم ينفصل عنها ويصل الى الانسان ومن نظر الى المغناطيس وتأثيره بالحديد من بعد لا يستغرب تأثير العين في الاجسام من بعد وهذا الذي ذكره من تأثير العين في سقم الاجسام وأضرارها هو الذي ثبت في الاحاديث وأما ماينقل من أن العين تهدم المباني العظيمة وتشق الجبال الكبيرة وأمثال ذلك فهو شيء منقول في القصص والاخبار الشائعة بين الناس واذا لم يصح في نقول الشريعة الصحيحة فلا يعتمد عليه والملخص انا نقول بجواز تأثير العين في الاجسام بالاسقام والاضرار ووجود ذلك بخلق الله تعالى لورود النص بذلك ولا مانع منه عقلا ولا يستلزم محالا والله تعالى أعلم

وكذلك قد ورد النص في بعض الاحاديث الاحادية أن الطاعون من وخز الجن والذي يقوله الاطباء أن مرض الطاعون من فساد الدم الناشئ من فساد الهواء فنقول

اذاتحقق مايقوله الاطباء يمكن أن يقال ان السبب الاصلى فى الطاعون
هو تسليط الله تعالى الجن على بنى آدم بافساد هوائهم ودمهم فيتولد عن
ذلك تلك الغدد الطاعونية فالنص الشرعى أخبر بالسبب الاصلى وكنى عنه
بوخز الجن والاطباء اطلعوا على السبب الأخير فقالوا بما اطلعوا عليه ولا
اشكال فى ذلك والله أعلم

وان قيل قد جاء فى حديث أحادى انه عليه السلام قال لا يوردن ذو عاهة
على مصح وقال فرمن المجذوم فرارك من الاسد وجاء فى حديث آخر أنه
عليه السلام قال لا عدوى فما التوفيق بينهما قلنا من المعلوم أن اعتقاد أهل
الاسلام أنه لا تأثير لشئ بطبعه بل كل أثر فهو بخلق الله تعالى وانما قد أوجد
الله أسبابا عادية للآثار والله قادر على تخلف تلك الآثار عن أسبابها وانه
العمر محتوم لا يزيد ولا ينقص ولا يصيب الانسان الا ماقدر عليه فلا يجوز
للانسان أن يعتقد أن المرض الفلانى يؤثر بطبعه و يعدى غير صاحبه وأن
الانسان قد يعدى بالمرض و يموت قبل أجله الذى قدره الله له اذا تقرر ذلك
فنقول يمكن والله أعلم بمراد رسوله أن المراد من قوله عليه الصلاة والسلام
لا عدوى أنه لا يجوز اعتقاد العدوى بتأثير الامراض بطبعها و إماتة
الانسان قبل أجله ولكن قد توجد فى بعض الامراض مثل الجذام
والجدرى والسل وأمثال ذلك رائحة كريهة ومادة سامة تنفصل من
صاحبها ربما تكون سببا عاديا لحدوث المرض فى من يخالطه و يقاربه

فيمكن حينئذ والله أعلم أن يكون هذا هو المعنى الذى أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله لا يوردن ذو عاهة على مصح وقوله فر من المجذوم فرارك من الاسد فكما أن شدة البرد وشدة الحرارة والتخمة وأمثال ذلك تكون سببا للمرض كذلك تلك الرائحة الخبيثة والمادة السامة التى تنفصل من المريض قد تكون سببا عاديا للمرض الصحيح المخالط له فاذا تجنب المرء أصحاب تلك الامراض تحاشيا عن الاسباب العادية مع اعتقاده أن تلك الامراض ليست مؤثرة بطبعها وان تحاشيه لا يكون مانعا لقدر الله تعالى ولا مطيلا له عمرا فلا مانع من ذلك التحاشى مع مراعاة تلك الشروط لصحة الاعتقاد وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى الطاعون اذا كان فى البلد الذى أنتم فيه فلا تخرجوا منه وقال أيضا اذا كان فى بلد فلا تدخلوه قال بعض العلماء يريد بقوله لا تخرجوا منه اذا كان فيه كأنكم تظنون أن الفرار من قدر الله ينجيكم ويريد بقوله واذا كان فى بلد فلا تدخلوه ان مقامكم فى البلد الذى لا طاعون فيه أسكن لأنفسكم وأطيب لعيشكم ومع ذلك لا مانع للانسان أن يخالط أصحاب الامراض اتكالا على الله وثقة به تعالى لان حصول الضرر بمخالطتهم غير مقطوع به وقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام أكل مع مجذوم فى اناء واحد وقال ثقة بالله فبالتأمل فى هذا المقام يظهر التوفيق بين الاحاديث الشريفة ويعلم اعتقاد المسلمين فى مسئلة العدوى والله تعالى أعلم

وان قيل قد ورد في حديث آحادي مامفاده أن الله تعالى قد جعل ملكا موكلا بعروق الارض فاذا أراد الله زلزلة جهة من الارض أمر ذلك الملك فحرك عرق تلك الجهة فتحدث فيها الزلزلة

الفلاسفة يقولون أن الزلزلة تحدث من احتباس أبخرة أو مياه في جوف الارض فتنضغط بالحرارة وليس لها منفذ الى ظاهر الارض فيحدث عنها تلك الحركة العنيفة المسماة بالزلزلة قلنا الذى ورد في الحديث لا مانع منه عقلا ولكن اذا ثبت بالدليل القاطع ما يقوله الفلاسفة يمكن تأويل ذلك الحديث بان الله تعالى جعل ذلك الملك موكلا بتدبير الابخرة والمياه التى في جوف الأرض وقد كني في الحديث عن ذلك بأنه موكل بعروق الارض فاذا أراد الله تعالى زلزلة جهة أمر ذلك الملك فسلط الابخرة والمياه وضغطها بالحرارة في جوف تلك الجهة فتحصل الزلزلة فعبر عن ذلك في الحديث بأنه يحرك عرق تلك الجهة ولا مانع من الكناية لصعوبة الفهم على العامة أن الابخرة تحرك الارض العظيمة والله تعالى أعلم

ان قيل قد توجد آثار في بعض الكتب في كبر أجسام المتقدمين تحتوى على مبالغات يستبعدها العقل وهى وان لم تكن مستحيلة عقلا لكن قد اكتشف الباحثون عن الآثار الارضية على أجسام محنطة من تاريخ أربعة آلاف سنة فوجدوها مثل أجسام أهل هذا الزمان فاتقولون في ذلك قلنا إن الذى ثبت في هذا الباب أن الله تعالى ذكر من قبلنا فقال

(كانوا أشد منكم قوة) وقال عن طالوت (و زاده بسطة فى العلم والجسم)
وقال فى تقريع بعض المتقدمين (واذا بطشتم بطشتم جبارين) وكل ذلك
لا إشكال فيه ولا يعارضها كتشاف ولا غيره وأما ماشاع من قصة عوج بن
عنق والمبالغة فى كبر جسمه وكذلك ماينقل ان آدم عليه السلام كان رأسه
يصل السحاب والسماء يحا كها فاعتراه الصلع من ذلك فقد قال الامام ابن قتيبة
فى شرح الأحاديث المشكلة ان هذا شيء لم يأت به كتاب ولا ثقة وليس له
اسناد وقال الامام ابن فورك فى شرح الأحاديث المتشابهة عن الروايات
فى طول آدم وقامته انها مما لا يوثق به اذ ليس فى ذلك خبر صحيح ولم يثبت أنه
قد كانت خلقة آدم على خلاف هذه الخلقة عن الحد الزائد الذى يخرج عن
المعهود من متعارف خلق البشر نقول لكن يعارض كلام ابن فورك ماجاء
فى حديث البخارى الصحيح من أن طول آدم كان ستين ذراعا وانه لم يزل
الخلق ينقص حتى الآن فالتحقيق انه على فرض ثبوت أحاديث فى كبر
أجسام المتقدمين فيمكن جعلها على انهم كانوا أكبر أجساما من أهل هذه
الازمنة بما هو خال عن المبالغة كالستين ذراعا فى خلق آدم وانه من المحتمل
ان الاجسام أخذت تصغر فى أزمنة متطاولة لأسباب عادية حتى بلغت مقدار
هذه الاجسام المعروفة الآن والذى اكتشفه الباحثون عن الآثار الارضية
انما هو أجسام وجدت بعد أن وصلت الاجسام فى الصغر الى هذا القدر
وما تعنيه الاحاديث التى فرض صحتها هو فى أجسام أهل أزمنة قديمة جدا

ومثل هذا يقال في طول أعمار المتقدمين فانه قد ورد في القرآن ان نوحا لبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وورد في الاحاديث ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة وهذا أمر ممكن عقلا لا استحالة فيه ومن الجائز أن أعمار البشر كانت تطول ثم أخذت تتناقص كما تناقصت أجسامهم حتى بلغت هذا الحد المعلوم والله تعالى أعلم

﴿ الخاتمة ﴾

(نسأل الله حسن الخاتمة)

إعلم أنه يجب على المسلمين شرعا نصب إمام يقوم باقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش وأخذ الصدقات وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وتزويج الصغار والصغائر الذين لا أولياء لهم وقطع المنازعات الواقعة بين العباد وقبول الشهادات القائمة على الحقوق وإقامة الجمع والاعياد ولا يتم جميع ذلك بين المسلمين الا بامام يرجعون اليه في أمورهم يدرأ المفاسد ويحفظ المصالح ويمنع مما تسارع الطباع وتتنازع عليه الاطماع يعول الناس عليه ويصدرون عن رأيه على مقتضى أمره ونهيه وقد أجمعت الصحابة رضي الله تعالى عنهم على نصب الامام بعد وفاته عليه الصلاة والسلام وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه لا بد لهذا الامر ممن يقوم به

فانظروا وهاتوا آراءكم فقالوا من كل جانب صدقت صدقت ولم يقل أحد منهم لاحاجة بنا الى إمام و يجب طاعة الامام على جميع الرعايا ظاهرا و باطنا فيما لا يخالف الشرع الشريف لقوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) وهم العلماء والأمراء ولقوله عليه الصلاة والسلام من أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى وفى صحيح البخارى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعنى و إنما الامام جنة يقاتل من و رائه و يتقى به وممايبنغى نصرة الامام على أعداء الدين والمفسدين ومحبته ونصحه والدعاء له بالصلاح والتوفيق والرشاد والنصر والسداد فان فى صلاحه صلاح الامة وقد قال بعض السلف مامعناه لو أعطيت من الله دعوة صالحة لجعلتها فى الخليفة نسألك اللهم ونتوسل اليك بعظمة ذاتك العلية وصفاتك السمية و بأسمائك السنية و بروحانية سيدنا (محمد) خير البرية أن تحفظ وتنصر وتؤيد وتوفق حضرة مولانا أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين مولانا السلطان الاعظم والخاقان الافخم سلطان سلاطين العرب والعجم وظل الله على صنوف الامم السلطان ابن السلطان السلطان الغازى (عبد الحميد) خان ابن السلطان الغازى عبد المجيد خان ابن السلطان الغازى محمود خان أيد الله خلافته الى آخر الدوران فهو الحامى حوزة الملك والدين والناهض بهذه الأمة الى اسمى شرف مكين وان من حسنات عصره

السعيد جمع هذا الكتاب المفيد المسمى « بالحصون الحميدية
لمحافظة العقائد الاسلامية » إذ هو طبق رضائه العالى وأثر
احسانه المتوالى جعله الله تعالى خالصا لوجهه الكريم
ووسيلة للفوز بجنات النعيم اللهم آمين وصلى
الله تعالى وسلم على سيدنا (محمد) وعلى
آله وأصحابه الطيبين الطاهرين
والحمد لله رب العالمين

م م

﴿ فهرس كتاب الحصون الحميديه ﴾

(لمحافظة العقائد الاسلاميه)

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت الفهرس)


Bibliotheca Alexandrina
03827750